البرجوازيون الصغار

كتب غوركي هذه المسرحية في عام ١٩٠١ . عرضت لاول مرة في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٠٢ في بطرسبورغ يؤديهـــا مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

فاسيلي فاسيليفيتش بيسيمينوف ، ٥٨ عامـــاً ، برجوازي صغير موسر ، كبير جمعية الدهانين .
أكولينا ايفانوفنا ، ٥٢ عاماً ، زوجته .
بيوتر (بيتيا) ، ٢٦ عاماً ، ولده ، طالب سابق .
تاتيانا (تانيا) ، ٢٨ عاماً ، ابنته ، معلمة مدرسة .
نيل ، ٢٧ عاماً ، ولده بالتبني ، سائق قاطرة .
بيرتشيخين ، ٥٠ عاماً ، من أقربائه الأباعد ، تاجر بطيـور مغرّدة .
بوليا ، ٢١ عاماً ، ابنة بيرتشيخين ، خياطة تعمل بالاجرة لدى العائلات .
يلينا نيقولايفنا (لينا) **كريفتسوفا** ، ٢٤ عاماً ، أرملة ناظر السجن تستأجر غرفة في بيت عائلة بيسيمينوف .
تيتيريف ، مرتل في جوقة الكنيسة } مستأجران لدى عائلة
شيشكين ، طالب } بيسيمينوف
تسفيتاييفا ، ٢٥ عاماً ، معلمة مدرسة وصديقة تاتيانا .
ستيبانيدا ، الطاهية .
امرأة عابرة .
غلام ، دهان .
طبيب .
تجري الأحداث في مدينة اقليمية صغيرة .

المشهد

حجرة في منزل برجوازي صغير موسر . الزاوية اليمنى في مؤخرة المسرح معزولة بحاجزين أصمين يشكلان الزاوية القائمة مما يضيّق خلفية المسرح ويؤلف غرفة صغيرة في مقدمته اليمنى تفصلها عن الغرفة الكبيرة قوس خشبية كبيرة ثبت بها سلك معلقة به ستارة من قماش قطني مورّد . ثمة باب في الجدار الخلفي للغرفة الكبيرة يؤدي الى المدخل والى النصف الآخر من المنزل ، حيث تقوم غرف المستأجرين والمطهى . والى يسار الباب ينتصب صوان ضخم للاواني ، وفي الزاوية صندوق . وهنالك ساعة عتيقة الطراز خشبية القاعدة عن يمين الباب ، وبندولها ، الكبير مثل القمر ، يتأرجح في بطء في صندوقه الزجاجي ، وحين يرين السكون على الغرفة يمكن سماع صوته البارد الخامد : تيك-تاك ! وفي الجدار الايسر بابان يوصل أحدهما الى غرفة بيسيمينوف وزوجته ، والاخر الى غرفة ولدهما بيوتر . وبين هذين البابين مدفأة مطلية بترابيع بيضاء . وامام المدفأة كنبة عتيقة منجدة بمشمع ، الى جانبها منضدة كبيرة تتناول الاسرة عليها الطعام والشاي . وهنالك عدد من مقاعد خشبية رخيصة خفيفة مصفوفة بفواصل منتظمة دقيقة للغاية عند الجدران . وثمة خزانة زجاجية عند مقدمة المسرح الى اليسار فيها علب متعددة الألوان ، وبيض عيد الفصح ، وشمعدانان برونزيان ، وملاعق للشاي والحساء ، وعدة أكواب وكؤوس فضية . وفي

الغرفة الصغيرة المفصولة بالقوس ، عند الجدار المواجـه للنظارة ، بيانو وخزانة ذات رفوف عليها نوتات موسيقية . في الزاويـة اليمنى برميل فيـه زهـور الفيلودندرون . وفي الجدار الايمن نافذتان وضعت عـلى افريزيهمـا أصص للزهور ، وتحتهما أريكـة والى جانبها ، في مقدمـة المسرح ، منضدة صغيرة .

الفصل الاول

الساعة تقارب الخامسة مساء ، ومن النافذتين يطلّ غسق خريفي . الغرفة الكبيرة تكاد ان تكون مظلمة . تاتيانا تقرأ في كتاب وهي نصف مضطجعة على الاريكة . وبوليا جالسة الى المنضدة تخيط .

تاتيانا (تقرأ) : «ونهض القمر . وكان من الغرابة ان ترى مثل هذا القمر الصغير الحزين يغمر الارض بكل ذلك الفيض من الضياء الازرق الفضي الحنون» . . . (تلقي بالكتاب في حجرها .) الدنيا تظلم .

بوليا : هل أشعل المصباح ؟

تاتيانا : لا تزعجي نفسك! ضجرت من القراءة . . .

بوليا : ما أعذب كتابته ! بسيطة بسيطة . . . وحزينة . .. تؤثر في النفس . . . (صمت .) لكم أتوق الى معرفة النهاية .هل انهما سيتزوجان ام لا ؟

تاتيانا (مغتاظة) : وما أهمية هذا ؟ . . .

بوليا : ليس في مقدوري قط ان أحب مثل هذا الرجل !

تاتيانا : لماذا ؟

بوليا : انه يبعث على الضجر . . . لا يكف عن الشكوى . . . ذلك لانه متردد . . . على الرجل ان يعرف مبتغاه في الحياة . . .

تاتيانا (في صوت رقيق) : وهل . . . نيل يعرف ؟

بوليا (بصوت واثق) : يعرف من دون ريب !

تاتيانا : وما هو مبتغاه ؟

بوليا : لا أستطيع ان اقص عليك ذلك . . . بالاسلوب البسيط الذي يوضح هو الامور به . . . ولكنني اعرف امراً واحداً : لسوف يسيئ الى الناس الاشرار . . . الجشعين والخبثاء منهم ! فهو يكرههم . . .

تاتيانا : من هو الشرير ومن هو الخير ؟

بوليا : انه عارف بذلك (تصمت تاتيانا دون ان تنظر الى بوليا التي تتناول ، مبتسمة ، الكتاب عن حجرها .) لقد كُتِبَ على أروع صورة ! لكم هي جذابة - بسيطة وصريحة ، لها قلب أبيض ! عندما تقرئين عن مثل هذه المرأة الخلابة يخيّل اليك انك غدوت انت نفسك احسن حالاً . . .

تاتيانا : لكم انت ساذجة . . . وتبعثين على الضحك ، يا بوليا ! اما أنا فقصص من هذا النوع تثير ثائرتي ! لم يكن هنالك مثل هذه الفتاة قط ! ولا مثل ذلك البيت ، والنهر ، والقمر ! انه مجرد خيال . الكتب لا تصوّر الحياة قط على ما هي عليه عندنا . . . حياتك مثلاً . . .

بوليا : انهم يكتبون عما يبعث على الاهتمام . اما نحن فماذا يبعث على الاهتمام في حياتنا ؟

تاتيانا (متضايقة ومتجاهلة ما نطقت به) : يتراءى لي كثيراً ان الناس الذين يكتبون الكتب . . . يكرهونني ويطيب

لهم الخصام معي دائماً . كما لو انهم يقولون لي : هذا أحسن مما تظنين ، وهذا أسوأ . . .

بوليا : وانا اظن ان الكتّاب جميعاً طيبون ولطيفون من دون ريب . . . كم أود ان أرى احد الكتّاب ! . .

تاتيانا (كأنها تخاطب نفسها) : هم لا يصفون الاشياء السيئة المحزنة مثلما أراها أنا . . . هم يصوّرونها بصورة خاصة . . . يضخّمونهـــا . . . ويجعلونهـــا تبدو مأسوية . أما الاشياء الطيبة – فهم يختلقونها . ليس هنالك من يعترف بحبه مثلما تصف الكتب ذلـــك ! والحياة ليست مأسوية أبداً . . . بل هي تتدفق في هدوء ورتابة ، . . . أشبه بنهر كبير موحل . تتعب عيناك من مراقبة النهر ، وتتضجر نفسك . . ويتبلّد ذهنك فلا تتكلفين عناء التساؤل عما يجعله يتدفق .

بوليا : (ترسل النظر الى امام غارقة في تفكيرها) : اما انـــا فأحب ان ارى كاتباً ! طوال الفترة التي كنت تقرئين فيها كانت تخطر لي فكرة بين الفينة والفينة : كيف تراه يبدو ؟ أهو شاب ؟ عجوز ؟ أسود الشعر ؟ . . .

تاتيانا : من ؟

بوليا : المؤلف . . .

تاتيانا : انه ميت . . .

بوليا : واأسفاه ! أ'طوي منذ زمن بعيد ؟ هل كان شاباً يوم مات ؟

تاتيانا : كان متوسط العمر . وكان يشرب الفودكا . . .

بوليا : يا للمسكين . . . (صمت .) ما الذي يهيب بالاذكياء

ان ينغمسوا في الشراب ؟ خـــذي هذا المستأجـــر لديكم ، . . . . المنشد في جوقة الكنيسة . . . انه ذكي ، وهو يُقبل على الشراب . . . وأتساءل لماذا ؟

تاتيانا : لان الحياة تبعث على الضجر . . .

بيوتر (يخرج من غرفته وقد بدا عليه انه استيقظ للتو) : اي ظلمة كثيفة هنا ! من يجلس هناك ؟

بوليا : أنا . . . وتاتيانا فاسيلييفنا . . .

بيوتر : لِمَ لا تشعلان المصباح ؟

بوليا : نحن نستمتع بالغسق . . .

بيوتر : رائحة زيت الايقونات تتسرب الى غرفتي من غرفة الوالدين . . . لعل هذا هو السبب في انني رأيت في حلمي اني اسبح في نهر مياهه دبقة مثل القطران . . . كانت السباحة صعبة . . . كان عليّ ان أسبح وأنـــا فقدت الاتجاه . . . ولا أرى الشاطئ . وكانت قطع من اشياء تطفو حواليّ ، لا أكاد اتشبث بها حتى تتفتت هباء منثوراً . . . فهـــي رخوة ومتعفنـة . حلـــم سخيف . . . (يراوح ويغادي وهو يصفر .) حانـــت ساعة الشاي ، أليس كذلك ؟

بوليا (تشعل المصباح) : سأهتم بتحضيره . . . (تخرج .)

بيوتر : منزلنا هذا يبدو لسبب ما في المساء كئيباً مقبضـاً للغاية . وكل هذه الاشياء العتيقة تلوح وكأنما تنتفخ وتغدو اكبر واثقل . . . تزيـــح الهواء وتحول دون التنفس . (يدق على الصوان بقبضته .) خذي الصوان هذا – فلقد ظل رابضاً في هذا المكان . . . لا يتزحـزح

ثمانية عشر عاماً . . . ثمانية عشر عاماً . . . يقولون ان الحياة تتحرك قدماً بسرعة ، ولكن هذا الصوان لم يتزحزح أنملة واحدة منذ اليوم الذي وضع فيه هنا : ظللت أضرب رأسي به غير مرة حين كنت صغيراً . . . والآن ايضاً يقف في طريقي عثرة لسبب ما . انه شيء سخيف . . . انه رمز اكثر منه صواناً . . . ليأخذه الشيطان !

تاتيانا : انت مضجر كثيراً ، يا بيوتر . . . ومن المضر بك ان تعيش بهذه الطريقة . . .

بيوتر : أي طريقة ؟

تاتيانا : لا تذهب الى اي مكان . . . فيما عدا صعودك كل مساء الى فوق لرؤية لينا * . . . وهذا يثير قلق الوالدين كثيراً . . . (بيوتر لا يجيب ، بل يراوح ويغادي وهو يصفر .) اسمع ، بدأت اشعر بتعب شديد . . . في المدرسة يرهقني الضجيج والفوضى . . . وفي البيت هنا هدوء ونظام ، رغم ان الجوّ ازداد مرحاً منذ قدوم لينا . اجل ، أنا اشعر بتعب شديد ! واعياد الشتاء لا تزال بعيدة . . . نوفمبر . . . ديسمبر . (تدق الساعة معلنة السادسة .)

بيسيمينوف (يطل برأسه من باب غرفته) : انت تصفر مثل القوزاق ! لا أحسبك كتبت ذلك الالتماس بعد .

---

* التدليل من اسم ايلينا . **الناشر** .

بيوتر : فعلت ذلك ، فعلت . . .

بيسيمينوف : لقد وجدتُ وقتاً لذلك بجهد جهيد . . . اوه ، اوه ! (يختفي)

تاتيانا : اي التماس ؟

بيوتر : بشأن استحصال سبعة عشر روبلاً وخمسين كوبيكا من التاجر سيزوف – تكاليف دهان سطح سقيفته . . .

اكولينا ايفانوفنا (تدخل حاملة مصباحاً آخر) : المطر مرة أخرى . (تمضي الى الصوان وتخرج منه أدوات الشاي وتضعها على المنضدة .) الجو بارد هنا . أشعلنا المدفأة ، ولكن الجو بارد . البيت عتيق . . . تهب الريح عبر الشقوق . . . أوه ، أوه ! ابوكما غضبان مرة اخرى ، ايها الولدان . . . يقول ان ظهره يوجعه . انه عجوز . . . اما اموره فكلها خاطئة وفوضى . . . ونفقات كثيرة . . . وهموم .

تاتيانا : (الى شقيقها) : هل كنت عند لينا ليلة البارحة ؟ . .

بيوتر : أجل . . .

تاتيانا : أقضيتم وقتاً طيباً ؟

بيوتر : كالعادة . . . شربنا الشاي ، وغنينا . . . وتجادلنا . . .

تاتيانا : من ضد من ؟

بيوتر : نيل وشيشكين ضدي أنا .

تاتيانا : كالعادة . . .

بيوتر : نعم . عبر نيل عن اعجابه بالحياة . كان يثير أعصابي جداً بدعايته للنشاط والحيوية والحب للحياة . . .

شيء مضحك ! عندما تصغين اليه تتصورين هذه الحياة التي لم يشاهدها أحد شبيهة بالعمة الاميركية التي قد تجيء في أية لحظة وتغدق البركات المختلفة عليك . . . اما شيشكين فأكثر من الحديث عن التأثيرات النافعة للحليب والتأثيرات الضارة للتبغ . . . واتهمني ان لديّ نظرة برجوازية .

تاتيانا : الشيء القديم ذاته .

بيوتر : تماماً . كالعادة . . .

تاتيانا : أتعجبك لينا كثيراً ؟

بيوتر : لا بأس بها . . . فهي مرحة . . . وطيبة . . .

اكولينا ايفانوفنا : انها طائشة ! ولا فائدة من حياتها ! تستقبل ضيوفاً كل يوم – شرب وأكل ، وغناء ورقص . . . ولا تستطيع ان تبتاع لنفسها حوضاً للغسيل ! – فهي تغتسل في الطست وترش الماء على الارض . . . انها تضر بالمنزل . . .

تاتيانا : ذهبتُ الى حفلة عائلية في النادي ليلة البارحة . كان سوموف هناك – فهو عضو في مجلس بلدية المدينة وراعي مدرستي – حيّاني بايماءة خفيفة من رأسه . . . هكذا . ولم تكد عشيقة القاضي رومانوف تدلف الى الغرفة حتى اندفع اليها ، وانحنى أمامها كما لو كانت زوجة المحافظ ، وقبّل يدها . . .

اكولينا ايفانوفنا : يا له من عديم الحياء ! ما ؟ بدلاً من ان يتأبط ذراع فتاة شريفة ويتبختر معها في اعتزاز على طول القاعة تحت أنظار الجميع . . .

تاتيانا (الى شقيقها) : كلا ! فكّر في الامر اذن ! ان معلمة المدرسة في نظر هؤلاء الناس أقل مدعاة للاحترام من المومس الملطخة بالأصباغ . . .
بيوتر : لا تعيري هذه الدناءة التفاتاً . . . ينبغي ان تكوني أسمى منها . . . أما بالنسبة الى تلك المرأة فهي قد تكون مومساً ، ولكنها لا تستعمل الاصباغ . . .
أكولينا ايفانوفنا : وكيف تعرف ذلك ؟ هل لعقت خدها ؟ أهينت شقيقتك وأنت تدافع عن المرأة التي كانت سبباً في الاهانة . . .
بيوتر : أماه ! كفى عن ذلك . . .
تاتيانا : يستحيل ان نتحدث في حضور أمنا . . . (تُسمع خطوات ثقيلة من وراء الباب المؤدي الى المدخل .)
أكولينا ايفانوفنا : تهاجمون امكم ! بدلاً من ان تروح وتجيء على هذا الغرار ، يا بيوتر ، يحسن أن تأتي بالسماور . . . ستيبانيدا تشكو من أنه ثقيل بالنسبة اليها . . .
ستيبانيدا (تدخل بالسماور ، وتضعه على الأرض الى جانب المنضدة ، وتنهض جذعها ، وتخاطب سيدتها في صوت لاهث) : أحببتم ذلك أم لا ، فأنا أكرر القول مرة أخرى اني لا أقوى على حمل مثل هذا الثقل . فساقايَّ ترتعشان من ثقله . . .
أكولينا ايفانوفنا : يخال لي أنك تريديننا أن نستأجر شخصاً خاصاً يحمل عنك هذا السماور ؟
ستيبانيدا : هذا من شأنك ! فليحمله منشد الجوقة – فذلك

لا يؤذيه . بيوتر فاسيلييفيتش ، تلطّف برفع هذا السماور على المنضدة . فأنا لا أقوى على ذلك ، أقسم بالله !

بيوتر : حسناً . هوب !

ستيبانيدا : لك شكري . (تخرج .)

اكولينا ايفانوفنا : يالها من فكرة ، يا بيتيا * . قل ذلك لمنشد الجوقة . وليحملنّ السماور . في الحقيقة . . .

تاتيانا (متنهدة في كآبة) : أوه ، يا ربي . . .

بيوتر : لعلي أطلب اليه جلب الماء ، ومسح الأرض ، وتنظيف المدخنة ، وغسل الثياب ايضاً ؟

اكولينا ايفانوفنا (تلوّح بيدها في قنوط) : فيم تتكلم عبثاً ؟ هذه الامور كلها تُنجز في أوقاتها دون مساعدة منه . . . أما بالنسبة الى السماور . . .

بيوتر : يا اماه ! أنت تثيرين هذه القضية المشؤومة كل عشية بخصوص مَنْ يحمل السماور ، صدقيني ان هذه القضية لن تجد حلاً لها ما لم تستأجري كنّاساً . . .

اكولينا ايفانوفنا : ما حاجتنا الى هذا الرجل ؟ فوالدك يكنّس فناء البيت بنفسه . . .

بيوتر : هذا ما يسمونه تقتيراً . ولا يحسن بالمرء ان يقتّر وهو يملك في المصرف . . .

اكولينا ايفانوفنا : صه ! أمسك لسانك ! اذا سمعك أبوك

---

* التدليل من اسم بيوتر . **الناشر** .

أذاقك طعم المال في المصرف ! فهل أنت الذي وضع النقود هناك ؟

بيوتر : اسمعي !

تاتيانا (واثبة) : يا بيوتر ، كفّ عن ذلك . . . فصبري ينفد . . .

بيوتر (يذهب اليها) : آسف . لا تصرخي ! فالمرء ينغمس في مثل هذا الشجار قبل ان ينتبه اليه . . .

أكولينا ايفانوفنا : بدأت الشكاوى ! والام لا تستطيع التفوه بكلمة واحدة . . .

بيوتر : الأمر ذاته يوماً بعد يوم . . . ان هذا الشجار يغطي نفس المرء بالصدأ والهباب . . .

أكولينا ايفانوفنا (منادية نحو باب غرفتها) : أبتاه ! تعال واشرب الشاي . . .

بيوتر : حينما تنتهي فترة حرماني من الجامعة أعود أدراجي الى موسكو ولن آتي الى هنا لأكثر من أسبوع واحد كل مرة كما اعتدت أن أفعل . ان ثلاث سنوات في الجامعة أنستني ماهية الحياة في البيت بجميع . . . هذا التقتير وهذا البهرج التافه الحقير . . . حلوة هي حياة الوحدة ، بعيداً عن مفاتن بيتي العزيز !

تاتيانا : أما انا فأني لا أملك مكاناً أذهب اليه . . .

بيوتر : قلت لك ان ترحلي وتدرسي . . .

تاتيانا : آه ! وفيم أفعل هذا ؟ لا أريد أن ادرس — بل أريد أن أحيا . أريد أن أحيا . . . ألا تفهم ذلك ؟

أكولينا ايفانوفنا (تحرق يدها وهي ترفع الابريق عن

السماور) : **أف ! أخذك الشيطان !**

تاتيانا (الى شقيقها) : أنا لا أدرك ولا أتصور معنى أن يحيا الانسان حقاً . كيف أستطيع **أنا** ان أحيا ؟

بيوتر (متفكراً) : أ . . . جل . ينبغي على المرء ان يحيـــا بحذق . . . وبحذر . . .

بيسيمينوف (يخرج من غرفته ، يمعن النظر في ابنه وابنته ، ويجلس الى المنضدة) : هل ناديتم على المستأجرين ؟

اكولينا ايفانوفنا : يا بيتيا ! اذهب ناديهما !

(يخرج بيوتر ، وتتجه تاتيانا الى المنضدة)

بيسيمينوف : اشتريتم قطعا من السكر مرة أخرى ؟ كم مرة قلت لكم . . .

تاتيانا : ما الفارق في ذلك ، يا أبتاه ؟

بيسيمينوف : أنا لا أخاطبك ، بل أنا أخاطب أمك . فالأمور كلها سيان لديك ، وأنا أعرف هذا . . .

اكولينا ايفانوفنا : اشتريت رطلاً واحداً ، يا أبتاه . هنالك قمع كامل لم نمسسه بعد ، لم يكن لدينـــا وقـــت لتكسيره . . . فلا تغضب !

بيسيمينوف : لست غاضباً . . . بل أنا أقول ان السكـــر المقطّع ثقيل جداً وحلاوته قليلة ، وهذا معناه أن لا توفير فيه . يجب أن نشتري دائماً أقماعـــاً مـــن السكر . . . وتكسيرها قطعـــاً صغيـــرة بأنفسنـــا . وسيتخلف عن ذلك فتات ، وهذه الفتـــات يمكـــن

استخدامها في الطبخ . والسكر نفسه يكون خفيفاً شديد الحلاوة . . . (الى ابنته .) ما الذي يجعلك تزفرين وتمتعضين ؟

تاتيانا : لا شيء ، لا شيء . . .

بيسيمينوف : تقولين : لا شيء ، فلا ضرورة للزفرات اذن . أم يصعب عليك حتى هذه الدرجة الاصغاء الى ما يقول والدك ؟ أنا لا أتحدث من أجلي ، بل من أجلكم أنتم الشبان . لقد عشت أيام حياتي ، أما أنتم فأيامكم أمامكم ، وحينما أنظر اليكم أروح أتساءل كيف تعيشون في هذا العالم . ما هو هدفكم ؟ أنتم لا تحبون نمط حياتنا ، وأنا أستطيع رؤية هذا بوضوح كامل ، لكن ما هو النمط الجديد الذي يخطر في أذهانكم ؟ هذه هي القضية ! أ . . جل . .

تاتيانا : أبتاه ! أتعلم عدد المرات التي كررت فيها هذا الكلام ذاته ؟

بيسيمينوف : وسأكرره مرة أخرى ، وأظل أكرره وأكرره دائماً حتى يضمني اللحد ! فأنا لا أعرف الراحة في حياتي – وكل ذلك بسبب منكم . . . عبثاً أتحت لكم فرصة الدراسة ، هذا لم امعنت الفكر فيه جيداً . . . والنتيجة – هذا يطرد من الجامعة ، وأنت . . . غدوت عانساً . . .

تاتيانا : ان لديّ عملي . . . فأنا . . .

بيسيمينوف : هذا ما سمعت ، لكن ما الفائدة من ذلك ؟

ليس من هو في حاجة الى الخمسة والعشرين روبلاً التي تتقاضينها – حتى ولا أنت . كان يحسن ان تتزوجي وتستقري حالك حال أية امرأة محترمة . وكنت نفسي أعطيك اذن خمسين روبلاً في الشهر .

اكولينا ايفانوفنا (وقد كانت طوال حديث الوالد والابنة تتململ في مقعدها في عصبية ، وتحاول بين فترة وأخرى أن تقول كلمة ، وأخيراً سألت في لطف) : يا أبتاه ! أتريد شيئاً من الفطائر بالقريش ؟ لقد تبقى قليل منها من الغداء . . . أتريدها ؟

بيسيمينوف : (يستدير اليها ، ويحملق فيها برهة في غيظ ، ثم يبتسم ابتسامة تخفيها لحيته) : حسناً . هاتي ما لديك من الفطائر بالقريش . . . هاتيها . . . (تسرع أكولينا ايفانوفنا الى الصوان ، ويلتفت بيسيمينوف الى ابنته .) أترين كيف أمك تردعني ؟ مثل أوزة تطرد الكلاب عن صغارها . . . لا تزال تخاف من أن أقول شيئاً يجرح احساساتكم . . . آه ، تاجر العصافير ! ها أنت هنا بعد غياب طويل !

بيرتشيخين (يظهر عند الباب وبوليا تدخل وراءه صامتة) : السلام على صاحب هذا البيت الشائب ، وزوجته الوسيمة وذريته المحترمة ، الآن والى أبد الابدين !

بيسيمينوف : وهكذا عدت تتعاطى الشراب من جديد ؟

بيرتشيخين : اني أغرق متاعبي .

بيسيمينوف : أية متاعب ؟

بيرتشيخين (ينحني امام الجميع وهو يقول) : بعت هذا النهار شرشوراً . . بقي عندي ثلاث سنوات ، كان يصدح بصوت رائع ، لكنني بعته ! كان ذلك عمــلاً دنيئاً ارتكبته ، وهكذا أغرقت همومي في الشراب ، لكــم آسف على ذلــك العصفـــور . فقــد ألفتـــه . . . وأحببته . . .

(تبتسم بوليا وتومىء لوالدها)

بيسيمينوف : وفيم بعته اذن ؟

بيرتشيخين (يستند على ظهور المقاعـــد وهو يدور حـول المنضدة) : قبضت عنه ثمناً محترماً . . .

أكولينا ايفانوفنا : وما قيمة المال بالنسبـــة اليك ؟ فأنت تنفقه عبثاً مهما يكن الامر . . .

بيرتشيخين (وهو يجلس) : صحيح يا امّ ! فأنا لا أمســك نقوداً . . . صحيح تماماً !

بيسيمينوف : وهكذا لم يكن ثمة سبب يدعوك الى بيعه بعد ذلك كله . . .

بيرتشيخين : بلى ، كان هنالك سبب . فقد كان العصفور يفقد البصر . . . وهذا يعني أنه سيموت قريباً . . .

بيسيمينوف (يبتسم ساخراً) : وهكذا فلست ذلك الغبي كما تبدو . . .

بيرتشيخين : أتحسب أن ذكائي دفعني الى ذلك ؟ أبداً — بل هي حقارة نفسي . . .

(يدخل بيوتر وتيتيريف)

تاتيانا : أين نيل ؟
بيوتر : ذهب وشيشكين الى التمرين .
بيسيمينوف : وأين ستعرض المسرحية ؟
بيوتر : في ميدان الركوب . انه عرض خاص بالجنود .
بيرتشيخين (الى تيتيريف) : احتراماتي للمزمار الالهي ! أترافقني لصيد عصافير القرقف يا رجل ؟
تيتيريف : فليكن . متى ؟
بيرتشيخين : غداً اذا طاب لك .
تيتيريف : ليس غداً . فينبغي ان أرتل في جنازة .
بيرتشيخين : فلنذهب قبل القداس اذن .
تيتيريف : موافق . مرّ بي . ألم يتبق شيء من الغداء ، يا أكولينا ايفانوفنا ؟ قليل من العصيدة ، او شيء آخر ؟
اكولينا ايفانوفنا : بلى يا سيدي . اذهبي ، يا بوليا ، وجيئيه به . . .

(تخرج بوليا)

تيتيريف : شكراً جزيلاً . فاليوم ، كما تعرفين ، حالت جنازة وحفل زفاف بيني وبين تناول الغداء . . .
اكولينا ايفانوفنا : أعرف ، أعرف . . .

(يتناول بيوتر قدحاً من الشاي ويمرّ تحت القوس الى الغرفة الصغيرة ، تلاحقه نظرة أبيه الثاقبة ونظرة تيتيريف العدائية . يأكل الجميع ويشربون في صمت عدة لحظات .)

بيسيمينوف : سوف تكسب كثيراً من المال في هذا الشهر ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش . فلا يمرّ يوم دون ميّت .

تيتيريف : الحظ الى جانبي . . . لا بأس .

بيسيمينوف : وحفلات زفاف كثيرة . . .

تيتيريف : صحيح . فهم يتزوجون بلا كلل . . .

بيسيمينوف : ادخر نقودك وتزوج بدورك .

تيتيريف : لا أرغب في ذلك . . .

(تتجه تاتيانا الى شقيقها ويشرعان في الحديث همساً)

بيرتشيخين : هذا صحيح ، حذار من الزواج . فالزواج لم يخلق للبط الغريب من أمثالنا . الاحرى بنا ان نذهب لصيد طيور الدغناش . . .

تيتيريف : هيا بنا . . .

بيرتشيخين : فى صيد طيور الدغناش متعة خالصة ! الثلجة الاولى سقطت للتو ، فتكسو الأرض بوشي يشبه ثياب الكاهن في عيد الفصح . . . كل شيء حواليك نقي براق وساكن في السكون الناعم . . . واذا اتفق أن كان النهار مشمساً – فان قلبك ليرقص نشوة اذن ! وأوراق الخريف لا تبرح تتلألأ على الاشجار كالذهب ، والغصون قد فضّضها الثلج بطبقة رخوة . . . وعلى حين فجأة وسط هذه الروعة المؤثرة كلها – ورر ! ورر ! – من قلب السماء الصافية ينطلق سرب من الطيور الحمر اللامعة تروح تجثم على الغصون مثل نبات

الخشخاش – تشيرب ! تشيرب ! تشيرب ! يا للطيور الصغيرة ، الطيور السمينة ، الرزينة مثل الجنرالات ، تروح تزقزق وتسقسق – انه منظر يخلب اللب حقاً ! يجعلك تتمنى ان تنقلب أنت نفسك طيراً كيما تستمتع باللهو معها على الثلج . . . ما أروع هذا ! . .

بيسيمينوف : الدغناش طائر أحمق .

بيرتشيخين : وأنا نفسي أحمق . . .

تيتيريف : لقد أحسنت الصورة . . .

اكولينا ايفانوفنا (الى بيرتشيخين) : انك مثل طفل صغير . . .

بيرتشيخين : أنا مولع بصيد الطيور ! أهنالك في الدنيا ما هو افضل من طائر صداح ؟

بيسيمينوف : صيد الطيور خطيئة . أفلا تعرف ذلك ؟

بيرتشيخين : أعرف ذلك ، ولكن لا حيلة لي فيه . فهو الشيء الوحيد الذي أحب أن أفعله وأعرف كيف أفعله . ويخال لي ان الحب يجعل اي عمل كان كريماً . . .

بيسيمينوف : أي عمل كان ؟

بيرتشيخين : اي عمل !

بيسيمينوف : وماذا لو أحببت ان تدس في جيبك أشياء الناس الآخرين ؟

بيرتشيخين : هذا لا يعتبر عملاً ، هذا سرقة .

بيسيمينوف : أجل . . . لعله كذلك . . .

اكولينا ايفانوفنا (متثائبة) : أوه – هو – هو ! ذلك مضجر . . . اي ضجر في العشيات دائماً . . . ماذا لو

أحضرت قيثارتــك وعزفت شيئــاً ، يا تيرينتــي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف (في رباطة جأش) : حين استأجرت غرفة منك ، أيتها المحترمة أكولينا ايفانوفنا ، لم ألتزم بالترويـــح عنك . . .

أكولينا ايفانوفنا (لم تستوعب كلامه) : ماذا قلت ؟

تيتيريف : لقد قلت ما قلت بصوت مرتفع وبوضوح .

بيسيمينوف (مشدوهاً ساخطاً) : أنظر اليك ، يا تيرينتــي خريسانفوفيتش ، وأندهش . أنت رجــل تافه ، اذا صفحت عن تعبيري هذا ، رجل لا فائدة منه ، ولكــن فيك من الفخار ما في سيد نبيل . فمن أين لك هذا ؟

تيتيريف (في رباطة جأش) : ولدت على هذه الخصال . . .

بيسيمينوف : بماذا تراك تفاخر اذا سمحت باخباري ؟

أكولينا ايفانوفنا : انه غريب الاطوار . ما الذي يمكــن أن يعتز به رجل مثله ؟

تاتيانا : أماه !

أكولينا ايفانوفنا (منتفضة) : ايه ؟ ما هذا ؟

(تهزّ تاتيانا رأسها مؤنبة)

أكولينا ايفانوفنا : هل قلت من جديد شيئاً ما كان ينبغي ان أتفوه به ؟ حسناً ، سأبقي فمــي مغلقاً . . . واللّه المسامح !

بيسيمينوف (مغضباً) : انتبهي لمـــا تقولين ، يا أم . نحن

نعيش وسط أناس مثقفين . يمكن أن ينتقدوا كـــل شيء ، لهم معرفة وذكاء . أما أنا وأنت فنحن عجوزان أحمقان ليس غير . . .

اكولينا ايفانوفنا (مسترضية) : ليس لي ما اقوله ! فهم في الحقيقة يعرفون أموراً كثيرة

بيرتشيخين : صدقت في هذا ، يا أخي . نطقت به مازحاً ، ولكنك صدقت فيه . . .

بيسيمينوف : لم أمزح . . .

بيرتشيخين : لحظة ! فالشيوخ فعلاً حمقى . . .

بيسيمينوف : وخاصة بعد ان يروك انت .

بيرتشيخين : أنا لا أهمية لي واكثر من ذلـــك أظن انه لا يمكن ان تكون هنالك حماقـــة لو لم يكن هنالـــك شيوخ . . . فالعجوز يفكر مثلما تحترق شجرة رطبة – لا تعطي لهباً بقدر ما تطلق من دخان . . .

تيتريف (مبتسماً) : أنت على حق !

(تحدّق بوليا في أبيها برقة ، وتربت على كتفه .)

بيسيمينوف (متجهماً) : حسناً ! واصل أكاذيبك . . .

(**يكفّ** بيوتـر وتاتيانا عن الحديـث ويراقبـان بيرتشيخين مبتسمين)

بيرتشيخين (في حيوية) : الشيوخ عنيدون – هذا هو الأمر الرئيسي فالشيخ يعرف أنه على خطأ ، وانه لا يفقه شيئاً من شيء ، ولكنه لا يستطيع ان يعترف بذلك . انه متكبر جداً ! فهو يقول في نفســـه : أيمكن أني

عشت هذه السنوات كلها وأبليت أربعين بنطالاً او ما شابه ، وأجد نفسي فجأة لا أفقه شيئا ؟ كيف يمكن هذا ؟ فيؤلمه هذا الأمر كثيراً ! ولذلك فهو لا يكف عن ترديد نفس الشيء : أنا شيخ ! أنا على صواب ! بيد ان الأمر بعيد عن ذلك ! فقد أصبـــح ذهنـــه ثقيلاً . . . أما الشبان – فذهنهم متوقد وسريع . . .

بيسيمينوف (في جفوة) : ليس هنالك من هو أكذب منك . . . لكن قل ، ما دمنا حمقى أفمـــا كان من الضروري أن نُلقّن الحكمة ؟

بيرتشيخين : أبداً ! لا جدوى من اطلاق السهام على صخرة . . .

بيسيمينوف : مهلاً ، لا تقاطعني – فأنا أكبر منك سناً . اليك ما أقول : فيم يهرب منا أصحاب العقول المتوقـــدة السريعة ، نحن الشيوخ ، ويختبؤون في الزوايا ويقطبون في وجوهنـــا ويسخرون منـــا ويرفضون حتى مجرد مخاطبتنا ؟ فكّر في هذا . . . سأخرج أنا لأفكر فيه أيضاً – لوحدي ، طالما أني أحمق بالنسبـــة الى جماعتكم هذه (يدفع كرسيـــه الى الوراء في صخب ، ويمضي الى غرفته ويقول عند المدخل) . . . يا ولديَّ المثقفين . . .

(صمت)

بيرتشيخين (الى بيوتر وتاتيانا) : فيم جرحتمـــا أحاسيس والدكما العجوز ، – يا شباب ؟

بوليا (مبتسمة) : أنت الذي جرحت أحاسيسه . . .

بيرتشيخين : أنا ؟ أنا لم أغضب في حياتي برغوثاً . . .

أكولينا ايفانوفنا : أوه ، يا أصحاب ! الامور عندنا ليست على ما يرام . . . فيم تغضبون الرجل العجوز ؟ جميعكم مقطبون عابسون . . . وهو عجوز . يحتاج الى السلام والهدوء . . . والاحترام . . . فهو والدكما . . . سأذهب اليه . وأنت اغسلي أدوات الشاي ، يا بوليا . . .

تاتيانا (تقترب من المنضدة) : لماذا يغضب والدنا منا ؟

أكولينا ايفانوفنا (عند الباب) : لانك تبتعدين عنه طوال الوقت . . . أيتها الذكية !

(بينما بوليا تغسل أدوات الشاي يرتفق تيتيريف المنضدة ويرنو الى وجهها بنظرة قاسية . يتجه بيرتشيخين الى بيوتر ويقتعد المنضدة الصغيرة . تنصرف تاتيانا الى غرفتها في خطوات متأنية .)

بوليا (الى تيتيريف) : فيم تنظر اليّ مثل . . . مثل هذه النظرة ؟

تيتيريف : هكذا . . .

بيرتشيخين : فيم تفكر ، بيتيا ؟

بيوتر : ايّان عليّ ان أذهب من هنا لو فعلت . . .

بيرتشيخين : ثمة أمر كنت أريد ان أسألك عنه منذ زمن طويل . قل لي من فضلك ما هي «شبكة المجاري» ؟

بيوتر : وفيم اهتمامك بها ؟ ان الحديث عن ذلك بحيث تفهم

[redacted]

بوضوح – حديث طويل . . . وممل . . .

بيرتشيغين : وأنت نفسك ، هل تعرف معناها ؟

بيوتر : دون ريب . . .

بيرتشيغين (يتطلع في وجهه متشككاً) : هم . . .

بوليا : ما الذي أطال غياب نيل فاسيلييفيتش هكذا . . .

تيتيريف : ما أجمل عينيك . . .

بوليا : أخبرتني بذلك نهار أمس .

تيتيريف : وسأخبرك به غداً . . .

بوليا : لماذا ؟

تيتيريف : لست أدري . . . قد يخطرلك أني متيم في هواك ؟

بوليا : يا للسموات ، أبداً ! لا يخطر في بالي شيء من هذا .

تيتيريف : أبداً ؟ يا للأسف ! حاولي أن تفكري . .

بوليا : في ماذا ؟

تيتيريف : في أي شيء – ما الذي يحدوني الى مغازلتك مثلاً . فكري في الأمر ، واخبريني . . .

بوليا : ما أغرب أطوارك !

تيتيريف : أعرف هذا . . . فقد سبق اخباري به . سأقول لك مرة أخرى : ارحلي عن هذا المكان ! من المضر بك ان تجيئي الى هذا البيت . . . اذهبي !

بيوتر : هل هذا مشهد الاعتراف بالحب ؟ أتريد أن أنصرف ؟

تيتيريف : أبداً ! لا تزعج نفسك ! فأنا أصنفك مع الأشياء الجامدة . . .

بيوتر : دعابة سخيفة . . .

بوليا (الى تيتيريف) : لكم تحبّ الخصام !

(يبتعـــد تيتيريف وينصت في اهتمام الى حديث بيوتـــر
وبيرتشيخين)

تاتيانا (تخرج من غرفتها وهي تلف نفسها بشال ، وتجلس الى البيان . تسأل وهي تقلب النوتات الموسيقية) :
ألم يصل نيل بعد ؟

بوليا : كلا . . .

بيرتشيخين : الجو مقنط . . . على فكرة ، يا بيتيا : قبل فترة وجيزة قرأت في الصحيفة أنهـــم بنوا سفناً طائرة في انجلترا . تبدو مثل السفن الأخرى ، لكن اذا ركبتها وضغطت على زر معين – زينغ ! – تحلق في الفضـــاء مثل العصفور في قلب السحب ، وتحمل الناس الى حيث لا يعلم الا الله . . . ويقولون ان كثرة من الانكليز اختفوا على هذا الغرار . أهذا صحيح ، يا بيتيا ؟

بيوتر : هراء !

بيرتشيخين : ولكنه نشر في الصحف . . .

بيوتر : ما ينشر من الهراء في الصحف غير قليل .

بيرتشيخين : كثير اذن ؟

(تعزف تاتيانا لحناً حزيناً خافتاً)

بيوتر (مغتاظاً) : كثير منه بالطبع !

بيرتشيخين : لا تغضب . وفي الحقيقة ، لماذا تكونون ، أنتم الشبان ، على هذا القدر من الغرور بالنسبة الينا نحن

الكهول ؟ حتى انكم لا تودون مخاطبتنا ؟ هذا لا يليق !

بيوتر : ماذا بعد هذا ؟

بيرتشيخين : بعد هذا أقول : حان أوان انصرافي طالما أنكم تضايقتم مني . هل ستذهبين الى المنزل عن قريب ، يا بوليا ؟

بوليا : حالما أنظف المكان . . . (تغادر الغرفة . يتبعهـا تيتيريف بعينيه .)

بيرتشيخين : أجل . . . نسيتَ ، يا بيتيا ، كيف كنا أنـا وأنت نصيد طيور السميلي معاً . كنت تحبني هاتيك الأيام . . .

بيوتر : وحتى الآن أنا . . .

بيرتشيخين : أرى وأشعر . . . ما في قلبك الآن !

بيوتر : كنت أحب كعك الزنجبيل والكراميـل في هاتيـك الأيام ، أما هذه الايام فأكرهها . . .

بيرتشيخين : مفهوم . . . ياعم تيرينتي ! هل نذهب لتناول جرعة من البيرة ؟

تيتيريف : ليست لديّ رغبة . . .

بيرتشيخين : سأذهب وحدي اذن . الحانـة هـي المرح ، والبساطة . أما هنا ، فالمرء قد يموت من الكآبـة بينكم ، وهذا القول ليس في صالحكم . أنتم لا تفعلون شيئاً . . . ولا تريدون شيئاً . . . ماذا لو لعبنـا بالورق ؟ لعبة القاشوش ؟ فنحن أربعة . . . (ينظر تيتيريف الى بيرتشيخين ويبتسم .) لا تشعرون برغبة في ذلك ؟ كما تهوون . . . اذن وداعاً ! (فيمـا هو

يقترب من تيتيريف يأتي بحركة من يده دلالة على اغتباق الشراب .) هل تأتي ؟

تيتيريف : كلا . . .

(يأتي بيرتشيخين بحركة يائسة من يده ، ويدلف خارجاً . صمت . تسمع الأنغام المنفردة الخافتة التي تعزفها تاتيانا على البيان ، وهي تقرأ النوتات ، في وضوح جلي . يصغي بيوتر من حيث اضطجع على الاريكة ، ويبدأ يصفر اللحن . ينهض تيتيريف ويجوس أرض الغرفة . وراء الباب المؤدي الى المدخل يسقط شيء ما حديدي : دلو أو أنبوب سماور محدثاً ضجة ، يسمع صوت ستيبانيدا يقول : «الى أين ، يأخذك الشيطان» . . .)

تاتيانا (تسترسل في عزفها) : ما أطول غياب نيل . . .

بيوتر : لا أحد يأتي . . .

تاتيانا : أتنتظر يلينا ؟

بيوتر : أنتظر أي انسان . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد لرؤيتكم . . .

تاتيانا : أنت دائماً عبوس . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد فليس لديكم ما تعطون . . .

بيوتر : هكذا تكلم تيرينتي الملهم . . .

تيتيريف (في أصرار) : أفلم يخطر لكما ان ذلك «الساقط» ، تاجر الطيور السكير ، كائن حي ، روحاً وجسداً ، في حين أنكما ، وأنتما على عتبة الحياة بعد ، أصبحتما شبه ميتين ؟

بيوتر : وأنت ؟ ما هو تقديرك لنفسك ؟

تاتيانا (تنهض عن مقعد البيان) : ايها السادة ! كفى ! سبق ان قيل الشيء ذاته ! تحدثتما في هذا الموضوع من قبل . . .

بيوتر : يروقني أسلوبك ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش . . . وأنا أحب الدور الذي تلعبه – دور القاضي الذي يحاكمنا جميعاً . . . لكني أود ان أعرف : فيم اختيارك هذا الدور بالذات ؟ أنت تتحدث دائماً وكأنك ترتل مدائح للراحل . . .

تيتيريف : ليست ثمة مثل هذه المدائح . . .

بيوتر : الامر سيان . ما أردت أن أقول هو أنك لا تحبنا . . .

تيتيريف : جداً . . .

بيوتر : شكراً على هذه الصراحة .

(تدخل بوليا)

تيتيريف : هنيئاً لك !

بوليا : بم تضيف يا ترى ؟

تاتيانا : اهانات . .

تيتيريف : بل الحقيقة . . .

بوليا : أريد الذهاب الى المسرح . . . هل يأتي أحدكم معي ؟

تيتريف : أنا . . .
بيوتر : ماذا يعرضون الليلة ؟
بوليا : «الشباب الثاني» . . . ألن ترافقينا أيضاً ، يا تاتيانا فاسيلييفنا ؟
تاتيانا : كلا . . . يخال لي اني لن أذهب الى المسرح هذا الشتاء . فقد مللته . أنا لا أطيق كل تلك الدرامات بما يتراكم فيها من طلقات وصيحات وبكاء . انها تثير أعصابي وتغيظني . (يدق تيتريف بأصبعه على أحد مفاتيح البيان ، فتنطلق منه نغمة حزينة خفيفة) كل شيء مزيف . والحياة تسحق الناس دون ضجيج أو صراخ . . . ودون عبرات . . . ودون أن يحسّ أحد بذلك . . .
بيوتر (مكتئباً) : انهم يمسرحون عذابات الحب ، لكن أحداً لا يهتم بمأساة الانسان الممزق بين الواجب والرغبة . . .

(يتابع تيتريف ، مبتسماً ، الضرب على مفاتيح الصوت الجهير .)

بوليا (تبتسم في خجل) : أما أنا فمجنونة بالمسرح . خذوا دون سيزار ده بازان ، ذلك النبيل الاسباني . . . انه رائع في منتهى الروعة ! انه بطل حقيقي . . .
تيتريف : هل أشبهه ؟
بوليا : اوه ! ماذا تقول ! على الاطلاق !

تيتريف (يطلق ضحكة قصيرة) : يا للأسف !

تاتيانا : يضجرني الاصغاء الى الممثلين وهم يمثلون عن الحب على المسرح . الحب في الحياة الحقيقية لا يشبه ذلك أبداً ! . .

بوليا : حسناً ، أنا ذاهبة . . . هل ستأتي ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟

تيتريف (يكف عن ضرب المفاتيح) : لن أذهب بعدما قيل لي اني لا أشبه نبيلاً اسبانياً . . .

(تخرج بوليا ضاحكة)

بيوتر (يراقبها وهي تخرج) : ما هو النبيل الاسباني بالنسبة اليها ؟

تيتريف : انها ترى فيه انساناً صحياً . . .

تاتيانا : ملابسه جميلة . . .

تيتريف : ومزاجه مرح . . . الناس المرحون طيبون على الدوام . . . والأوغاد يندر أن يكونوا مرحين .

بيوتر : عطفاً على نظريتك هذه لا بدّ أنك أعظم وغد على وجه البسيطة . . .

تيتريف (يضرب على مفاتيح البيان ، من جديد ، فتدوي أنغاماً ثرية عذبة) : أنا مجرد سكير . أتعرفون لماذا تمتلئ روسيانا بالسكارى ؟ يلائم المرء ان يكون سكيراً . وهم يحبون السكارى عندنا ويكرهون المبتكرين والناس الجسورين . ذلكم أنه أسهل ان

تحبّ شيئاً صغيراً لا قيمة له من أن تحبّ شيئـــاً عظيماً وصالحاً . . .

بيوتر (يجوس أرض الغرفة) : روسيانا . . . روسيانا . . . ما أغرب وقع هذه الكلمة ! ما أغرب وقع هذه الكلمة ! هل روسيا لنا حقاً ؟ هل هي لي ؟ هل هي لك ؟ ومن «نحن» ؟ ما «نحن» ؟

تيتيريف (يغني) : نحن طيور حرة . . .

تاتيانا : يا ترينتي خريسانفوفيتش ! كفّ عن الضرب عـــلى البيان ، فعزفك أشبه بأجراس لحن جنائزي !

تيتيريف (يستمر في العزف) : انني أعزف لحناً ينسجـــم والمزاج العام . . .

(تخرج تاتيانا غاضبة الى الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (متأملاً) : اجل . . . كفّ حقاً عن هذا الضرب ، فهو يثير الأعصاب . . . يخيّل اليّ أنه حين يقول الفرنسي أو الانكليزي : فرنسا ! أو انكلترا ! فان هذه الكلمة تعني بالنسبة اليه شيئاً ملموساً ، شيئاً محسوســاً ومفهوماً . . أما حينمـا أقول أنا – روسيـــا – فهذه الكلمة لا تعني شيئاً بالنسبـــة لي . وليست لديّ القدرة على تضمينها أي مضمون واضــح . (صمت . يستمر تيتيريف في الضرب على مفاتيح البيان .) ثمـــة كلمات كثيرة نستخدمها بتأثير العادة ، دون أن نفكر فيما وراءها من معنى . . . الحياة . . . حياتي . . .

ما الذي يختبئ وراء هاتين الكلمتين من معنى ؟ . .
(يذرع أرض الغرفة في صمت . تيتيريف يضرب على مفاتيح البيان في عذوبة ، فيملأ الغرفة أنغاماً حزينة ، فيما هو يلاحق بيوتر بابتسامة متجمدة على وجهه .)
أي شيطان دفعني الى الاشتراك في تلك الاضرابات الطلابية ! ذهبت الى الجامعة لأدرس ، وهذا ما كنت أفعله . . . أرجوك ، كفّ عن هذا الرنين ! . . لم أكن واعياً أن أي نظام للحكم يحول بيني وبين دراسة القانون الروماني – لم أكن أشعر بذلك حقاً ، اذا أردنا أن نكون صريحين . غير أنني كنت أشعر بضغط زملائي . . وقد خضعت له . وهكذا ضاع من عمري سنتان . . . أجل ! وهذا ما أسميه العنف ! العنف بحقي – أليس كذلك ؟ كنت أحلم أن أنهي دراستي ، وأصبح محامياً ، وأحصل على عمل ، وأطالع ، وأدرس الحياة – وبكلمة : أن أعيش !

تيتيريف (يكمل في سخرية) : في سبيل اسعاد والديك ، وخير الكنيسة والوطن ، مثلما يليق بخادم مطيع للمجتمع . . .

بيوتر : المجتمع ؟ هذا هو الشيء الذي أمقته ! فهو لا يبرح يزيد من متطلباته من الفرد دون أن يمنحه فرصة للتطور بصورة صحيحة ودون عوائق . . . المجتمع ، بلسان رفاقي ، صرخ في وجهي : على المرء أن يكون ، قبل أي شيء آخر ، مواطناً ! حسناً ، كنت مواطناً . . . لعنة الله عليهم . . . لم تكن بي رغبة . . . ولم أكن

مرغماً على الخضوع لمتطلبات المجتمــــع ! أنا فرد !
والفرد حر . . . اسمع ! كفّ عن هذا . . . عن هذا
الرنين الملعون . . .

تيتيريف : اني أصاحبك . . . أيها البورجوازي المحترم الذي
كان مواطناً – الى متى ؟ – نصف ساعة ؟

(صخب وراء الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (مغتاظاً) : لا . . لا تسخر مني !

(يتابع تيتيريف ، وقد ألقى على بيوتر نظرة متحدية ضربه
على مفاتيح البيان . يدخل نيل ، ويلينــــا ، وشيشكين ،
وتسفيتاييفا ، وفى اثرهم تاتيانا .)

يلينا : ما معنى هذا القرع الجنائزي ؟ عمت مساء ، أيهـــا
الدب الرهيب ! مساء سعيداً ، أيهـــا المدعي العام
العتيد ! ماذا تفعلان هنا ؟

بيوتر (مقطباً) : نهرف فى الحديث .

تيتيريف : أعزف لحـــن الوداع للرجل الذي ارتحـــل عن
الحياة قبل أن تأتي ساعته . . .

نيل (الى تيتيريف) : اسمع ! هلا أسديتني خدمة ؟ (يهمس في
أذنه شيئاً . يومئ تيتيريف برأسه .)

تسفيتاييفا : اه ، ايها السادة ! كان التمرين رائعاً !

يلينا : كان ينبغي أن ترى كيف كان الملازم بيكوف يغازلني

بعنف هذه الليلة ، ايها المدعى العام !

شيشكين : صاحبك بيكوف حمار . . .

بيوتر : ما الذي يجعلك تظنين أني أبدي اهتماماً بمن يغازلك وكيف يفعل ذلك ؟

يلينا : اوه ! انت خارج عن طورك ؟

تسفيتاييفا : بيوتر فاسيليييفيتش خارج عن طوره دائماً .

شيشكين : هذه حالته الروحية الطبيعية . . .

يلينا : يا تانيتشكا ! وهل أنت ، أيضاً ، في حالتك الطبيعية ؟ حزينة مثل ليلة خريفية ؟

تاتيانا : نعم . أنا مثلما قلت . . .

يلينا : أما أنا فأحسّ أني أطير من الفرح ! لماذا تروني دائماً أطير من الفرح أيها السادة ؟

نيل : لا أستطيع جواباً عن هذا . فأنا أيضاً أشعر بالمرح على الدوام !

تسفيتاييفا : وأنا كذلك ! . .

شيشكين : أنا لست دائماً ، ولكن . . .

تاتيانا : . . . طوال الوقت .

يلينا : أهذه محاولة للهزل ، يا تانيتشكا ؟ ما أروعك ! أخبرني ، أيها الدب ، فيما أنا أمرح مرحاً على الدوام ؟

تيتيريف : يا للطيش المجسّد !

يلينا : هكذا ! حسناً ! سأذكرك بهذه الكلمات حينما تعترف بحبك لي !

نيل : لا أمانع في الحصول على شيء آكله . . . عليّ أن أذهب الى العمل بعد فترة قصيرة . . .

تسفيتاييفا : وستعمل الليل بطوله ؟ يا للمسكين العزيز !
نيل : الليل والنهار معاً . . . يفضل أن أذهب الى المطبخ وأتوسل بستيبانيدا . . .
تاتيانا : سأطلب اليها أن تطعمك . . . (تخرج برفقة نيل .)
تيتيريف (الى يلينا) : لحظة ! أيجب عليّ أن أقــع أسير هواك ؟
يلينا : أجل ، يجب ، أيها الرجل الجسور ! أجل ، يجب ، أيها المسخ النكد ! يجب ، يجب !
تيتيريف (يتراجع الى الخلف) حاضر . . . لن يصعب علـــيّ ذلك . . . فقد كنت مرة أحب فتاتين وامرأة متزوجة في وقت واحد . . .
يلينا (تواصل التقدم نحوه) : وماذا نجم عن ذلك ؟
تيتيريف : لا شيء . . .
يلينا (بصوت خافت ، وهي تومئ بعينيها ناحية بيوتر) : ماذا حدث بينكما ؟

(يضحك تيتيريف . يتحدثان هامسين .)

شيشكين (الى بيوتر) : إسمع يا اخ ! هلا اعطيتني روبلاً لثلاثة أيام ؟ فقد تمزق حذائي . . .
بيوتر : خذ . . . صرت مديناً لي بسبعة روبلات . . .
شيشكين : لم أنس هذا . . .
تسفيتاييفا : بيوتر فاسيلييفيتش ! لِمَ لا تشتـــرك في مسرحياتنا ؟
بيوتر : لا أستطيع التمثيل . . .

شيشكين : أتعتقد أننا نستطيعه ؟

تسفيتاييفا : في مقدورك على أقل تقدير أن تحضر تمريناتنا . فالجنود يستدعون اهتماماً كبيراً . بينهم واحد يدعى شيركوف – مضحك الى أبعد الحدود ! ساذج وبريء ، له ابتسامة خجول لطيفة جداً . . . لكنه لا يفهم شيئاً . . .

بيوتر (يراقب يلينا من طرف عينه) : كيف تجدين ما يبعث على الاهتمام في شخص لا يفهم شيئاً ؟ هذا أمر يفوق مداركي !

شيشكين : ليس شيركوف هو الشخص الوحيد . . .

بيوتر : لا أرتاب في أن الفرقة بأسرها على هذا الغرار . . .

تسفيتاييفا : كيف يمكن أن تقول هذا ؟ لا أفهم . ما الذي يجعلك على هذه الصورة ؟ أهذا ما تسميه أرستقراطية ؟

تيتريف (يتحدث فجأة في صوت عال) : أنا لا أعرف ان أشفق . . .

يلينا : صه !

بيوتر : وكما هو معروف لديكم ، فأنا فرد من الطبقة الوسطى .

شيشكين : وهذا ما يعسر فهم موقفك تجاه عامة الناس . . .

تيتريف : لم يشفق أحد عليّ قط . . .

يلينا (بصوت خافت) هلا عرفت ان على المرء ان يقابل الشر بالخير ؟

تيتيريف : ليس لديّ ما أقابل به . . .

يلينا : آه ! هدئ صوتك ! . .

بيوتر (يرهف سمعه الى ما يتبادله تيتيريف ويلينا من حديث) : لكنّ هناك شيئاً لا أفهمه : فيم تدعونّ العطف على عامة الناس ؟

تسفيتاييفا : نحن لا ندّعي . فنحن نقاسمهم ما يتوفر لدينا . . .

شيشكين : بل هذا الأمر ليس سبباً . . . فنحن نشعر بالسرور لأننا بينهم . . . فهم صادقون لا يتكلفون . . . وثمة شيء يريح الأعصاب فيهم كالهواء في الغاب . . . عشاق الكتب من أمثالنا يحتاجون الى ملء رئاتهم بهواء عليل بين فترة وأخرى . . .

بيوتر (في اصرار وضيق مكظوم) : تحبون خداع أنفسكم . . . ثمة حوافز لا تعترفون بها تدفعكم الى التعويض على هؤلاء الجنود . وذلك شيء سخيف اذا عذرتم صراحتي ! البحث عن الهواء العليل بين الجنود . . . هذا . . . أستميحكم العذر . . .

تسفيتاييفا : ليس بين الجنود وحسب ! فنحن نقدم عروضنا المسرحية في مستودع السكك الحديد أيضاً ، كما تعرف . . .

بيوتر : الأمر سيان . ما أقوله هو أنكم تخدعون أنفسكم حين تسمون جلبتكم وضجيجكم عملاً حيوياً ، وتؤمنون أنكم تساعدون على رقي الفرد . . . وما شابه ذلك . . . انكم لا تفعلون أكثر من خداع أنفسكم .

غداً يحضر ضابط أو رئيس للعمال ويعطي هذا «الفرد» الذي تنادون به لطمة على فكه . تنتزع من رأسه كل ما حشرتم فيه – ان كنتم حقاً قد حشرتم فيه شيئاً . . .

تسفيتاييفا : من المؤسف ان يسمعك المرء تقول مثل هذه الأمور !

شيشكين (مكتئباً) : اجل . . . هذا الكلام غير مناسب . . . وليست هي المرة الأولى التي أسمعك تنطـــق بهذه الأمور ، وفي كل مرة أسمعها أزداد منها نفوراً . . . سيأتين يوم نتحدث فيه أنت وأنا حديثاً حاسماً ، يا بيوتر – ونتفارق الى الأبد !

بيوتر (في برودة وبطء) : أنا خائف من هذا اللقاء ! ولكنني تواق اليه . . .

يلينا (في حمية) : ما هذا الذي يجعلك تتظاهر بهذا الشكل ؟ ايها السادة ! لماذا يريد أن يعتبره الناس خبيثاً ؟

بيوتر : من أجل التميز كما أظن .

تسفيتاييفا : طبعاً ! هو يريد أن يبدو متميزاً عن الآخرين . جميـــع الرجال يحاولون ان يبدوا متميزين في حضرة النساء . بعضهم يتظاهرون أنهم متشائمون ، وآخرون أنهم على غرار مفيستوفيل . بينا هم في الحقيقة مجرد كسالى . . .

تيتيريف : كلمة مختصرة واضحة . ومعبرة جداً !

تسفيتاييفا : تريدني أجامل الرجال ؟ لسوف تنتظر طويلاً اذن ! انا أعرفهم اطيب معرفة !

تيتيريف : انك تعرفين الأمر أفضـــل مما أعرفـــه أنا .

وبالمناسبة ، ان كنت تعرفين كثيراً ، فلعلك تعرفين ما يلي : هل ينبغي على المرء أن يقابل الشر بالخير ؟ وبكلمات أخرى ، هل تعتبرين الخير والشر عملة متساوية في القيمة ؟

تسفيتاييفا : أنت تلوي الأمور دائماً بصورة متناقضة !

شيشكين : مهلاً ، لا تقاطعيه ! هذا ممتع . أنا ، أيها السادة ، أحب أن أصغي الى تيتيريف ! فهو يحشر بين الفينة والفينة في رؤوسكم فكرة جديدة مقلقة . . . بينما نحن جميعاً نفكر – اذا قلنا الصراحة – أفكاراً عادية جداً – مسطحة وممسوحة كالعملات القديمة . . .

بيوتر : أنت في غاية الكرم . تضفي على الآخرين فضائلك الخاصة . . .

شيشكين : هيا ، هيا ، علينا ان نقول الحقيقة يا أخ ! ينبغي أن نكون صادقين حتى في التفاهات ! أما بالنسبة الي ، فأنا أعترف صراحة أني لم أعبر قط عن أية فكرة أصيلة ، ولكم أتوق الى ذلك أيها السادة !

تيتيريف : لقد فعلت ذلك لتوك !

شيشكين : (في حماسة) : ما هذا ؟ ألا تكذب ؟ أتعني ذلك حقاً ؟

تيتيريف : حقاً يا أخ ! لقد نطقت بواحدة ، وسأتركك تخمن بنفسك ماهيتها .

شيشكين : لا ريب أنها كانت مصادفة أفلتت بمحض الصدفة . . .

تيتيريف : لا يمكن أن يكون الانسان أصيلاً عن عمد .

جرّبت أنا ذلك . . .

يلينا : أسمعنا ماذا تريد أن تقول عن الخير والشر ، أنت ، يا معذّبنا ، أنت .

شيشكين : هيا ، ولتطلقنّ أبخرة الفلسفة !

تيتيريف (يتخذ وضعاً مسرحياً) : أيها المحترمون من أصحاب القائمتين ! ! تخطؤون كثيراً حين تقولون انه يجب أن تقابلوا الشر بالخير . الشر صفة وراثية فيكم ، ولذلك فهو قليل القيمة . والخير شيء اكتسبتموه بأنفسكم ، ودفعتم فيــــه ثمناً غالياً جداً ، ولذلـــك صار نادراً وعزيزاً وأحب الى قلوبكم من أي شيء آخر على وجه هذه البسيطة . ومن هنا النتيجة أنه ليس ثمة منفعـة أو جدوى بالنسبة لكم من مقابلة الشر بالخير . أقول لكم : الخير يجب أن يقابل بالخير وحده . أبداً لا يجوز أن تقابلوا أكثر مما حصلتم عليه ان كنتم لا تريدون ان توقظوا في الآخرين غريزة المرابي . الانسان مخلوق جشع . اذا أخذ مرة أكثر مما هو له فلسوف يطالب بعدئذ بالمزيد باستمرار . وكذلك لا ينبغي أن تعطوه أقل من حقـــــه لأنكم ان غالطتموه الحساب مرة – وتذكروا أن الانسان لا ينسى الاساءات ! – فلسوف يعلن افلاسكم . ولسوف يفقد كل احترام لكم ومـــن بعد ، وبدلاً من مقابلة الخير الذي تستأهلون ، سوف يعرض عليكم الصدقات . راعوا الدقة في مقابلة الخير بالخير ، أيها الأخوة ، لان أحداً على الأرض ليس أكثر مدعاة للأسى والاشمئزاز من ذلك الذي يعرض عــــلى

جاره صدقة ! أما حين تتلقون الشر فردوه أضعافاً مضاعفة ! كونوا أسخياء بقوة في ردّ الشر الذي يبتليكم به جاركم ! واذا طلبتم كسرة من خبز فأعطاكم حجراً فاهدموا على رأسه صخرة ! (يبدأ تيتيريف خطبته في غبطة خفيفة ، ويزداد حديثه جدية كلما انطلق فيه ، وينتهي منه في نبرات قوية ملتهبة . وحين يصمت يبتعد في خطوات ثقيلة . يرين الصمت على الجميع . ويسيطر الوجوم عليهم ، ويشعرون بما في كلماته من صدق .)

يلينا (في عذوبة) : لا بدّ أنك قاسيت من الناس عنتاً رهيباً . . .

تيتيريف (مكشراً عن أسنانه) : ولكنني عامر بالأمل المرح أنهم ، في الوقت المناسب ، سيقاسون مني . . . او بالأحرى سيقاسون من أجلي . . .

نيل (يدخل وفي يديه قصعة وشريحة من خبز ، يتحدث وهو يراقب القصعة بعينه كيلا يهرق ما في داخلها . تدخل تاتيانا وراءه) : كل ذلك فلسفة ! ان لديك ، يا تانيا ، عادة سيئة في التفلسف بخصوص الأمور التافهة — المطر ، أو أصبع مجروح ، أو مدفأة تطلق دخاناً . حين أسمع الفلسفة تهدر على مثل هذه الأمور التافهة أجدني مرغماً على التفكير أن الثقافة تسبب أذى عظيماً لبعض الناس . . .

تاتيانا : أنت شديد الفظاظة ، يا نيل !

نيل (يجلس الى المنضدة ويشرع في الطعام) : لا شأن لهذا بفظاظتي ! اذا ضجرت فابدئي عملاً ما فالمرء الذي يعمل لا يجد للضجر وقتاً . اذا كانت حياتك في البيت غير سعيدة فاذهبي الى الريف وعلّمي الأطفال هناك . أو اذهبي الى موسكو وادرسي . . .

يلينا : نالت جزاءها ! هلا وبخت هذا الحقير أيضاً . (تشير الى تيتيريف)

نيل (يرميه بنظرة جانبية) : نموذج آخر ! هيراقليطس الثاني . . .

تيتيريف : سويفت الثاني اذا أذنت !

نيل : هذا كثير عليك !

بيوتر : كثير جداً !

تيتيريف : كم يطيب لي ان أسمعكم تسمونني هكذا . . .

تسفيتايفا : أنت تحب الاطايب كثيراً !

نيل (دون أن يرفع عينيه عن القصعة) : هيا ، لا تغضب . وبالمناسبة ، هل . . . هل بوليا هنا ؟ أو بالأحرى أين ذهبت ؟

تاتيانا : الى المسرح . لماذا ؟

نيل : لا شيء ، كنت أسأل فحسب .

تاتيانا : أتحتاج اليها في أمر من الأمور ؟

نيل : كلا . لا أحتاج اليها . أعني ليس في هذه اللحظة ، أما عموماً فأنا . . . أنا . . . أحتاج اليها دائماً . أوه ، يا للعنة ! تورطت في الكلام !

3*

(يبتسم الجميع عدا تاتيانا)

تاتيانا (في اصرار) : لماذا ؟ ما حاجتك اليها ؟

(يتابع نيل طعامه متجاهلاً سؤالها)

يلينا (تخاطب تاتيانا في نبرات سريعة) : فيم كان يوبخـك ؟ أخبريني !
تسفيتاييفا : أجل . هذا يبعث على الاهتمام !
شيشكين : أحب أسلوبه في التوبيخ . . .
بيوتر : وأحب أنا . . . أسلوبه في التهام الطعام . . .
نيل : كل ما أفعله ، فأنا أفعله جيداً . . .
يلينا : هيا ، يا تانيا ، أخبرينا !
تاتيانا : ليست بي رغبة . . .
تسفيتاييفا : انها لا تريد القيام بشيء ابداً !
تاتيانا : وكيف تعرفين ؟ لعلّ عندي رغبة جامحـة في . . . الموت .
تسفيتاييفا : هه ! اعاف السمع لهذا !
يلينا بررر ! لا أحب التحدث عن الموت !
نيل : ماذا يمكن أن يقول المرء عن الموت قبل أن يموت ؟
تيتيريف : ياله من فيلسوف حقيقي !
يلينا : فلنذهب الى غرفتي أيها السادة ! هيا بنا ! لا بـــدّ وان السماور يغلي من زمان . . .
شيشكين : هذا هو المطلوب . . . قدح من الشاي ! وأرجو

أن يكون معه شيء يؤكل ؟

يلينا : دون ريب !

شيشكين (يشير الى نيل) : رؤيته تفعمني غيرة ، أنا الخاطىء !

نيل : ليس هنالك ما يستثير غيرتك – فلقد التهمت كل ما هو موجود ! وسأذهب برفقتكم – فلديّ اكثر من ساعة من الزمن لا عمل لي فيها . . .

تاتيانا : ألا يفضل أن تستريح قليلاً قبل الذهاب الى عملك ؟

نيل : لست أحتاج ذلك . . .

يلينا : بيوتر فاسيلييفيتش ! هل تأتي معنا ؟

بيوتر : اذا سمحت لي بذلك . . .

يلينا : بكل سرور ! هات ذراعك !

تسفيتاييفا : قفوا أزواجاً ! نيل فاسيلييفيتش ، تعال معي . . .

شيشكين (الى تاتيانا) : وأنت معي .

تيتيريف : يقولون ان هنالك نساء أكثر من الرجال في العالم ، ولكنني عشت في عديد من مدن هذا البلد ولم أجد ، مرة واحدة ، امرأة واحدة تركت لي . . .

يلينا (ضاحكة ، وهي تتجه الى الباب وتغني) :

Allons, enfants de la patri-i-i-e!*

---

* بالفرنسية في الاصل . وتعني : هيا بنا ، أبناء الوطن ! الناشر .

شيشكين (يدفع بيوتر في ظهره) : هيا ، تحرك بسرعة ، يا ابن الوطن ! . .

(يخرجون في جلبة ، وهم يغنون ويضحكون . تبقى الغرفة خاوية لحظات . وينفتح باب غرفة الوالدين فتدلف منه أكولينا ايفانوفنا . تتثاءب وتطفئ المصابيح . من داخل الغرفة يدفّ صوت الرجل العجوز يتلو صلواته بصوت رتيب . تتعثر المرأة العجوز في الظلمة بالمقاعد وهي تشق طريقها الى حجرتها)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

ظهيرة يوم خريفي . بيسيمينوف جالس الى المنضدة . تاتيانا تراوح وتغادي في الغرفة على مهل دون أن يندّ عنها صوت . بيوتر يقف عند القوس بين الغرفتين يمدّ بصره عبر النافذة .

بيسيمينوف : هذه ساعة كاملة وأنا أتحدث فيها اليكمـا ، يا ولدّي العزيزين ، لكن كلماتي فيما يبدو لا تجد لها في قلبيكما صدى . أحدكما يقف وقد أدار لي ظهره ، والأخرى تتمشى في غدوٍ ورواح كأنها غراب على سور .

تاتيانا : سوف أتخذ لنفسي مقعداً . (تجلس .)

بيوتر (يلتفت الى والده) : حدثنا صراحة : ماذا تبغي منـا ؟

بيسيمينوف : أريد أن أعرف ماهيتكما . أما أنـت فأودّ أن أعرف أي نوع من البشر أنت .

بيوتر : رويدك ! فسأجيبـك في الوقت المناسب . سترى وتفهم ، لكن دعني أنهي دراستي أولاً .

بيسيمينوف : هه ، الدراسة . حسناً هيا وادرس ! ولكنـك لا تفعل . أنت تهمل من حواليك . وتعلمت أن تشمخ بأنفك حيال كل شيء ، بيد أنك لم تتعلم قواعـد السلوك . فقد طردوك من الجامعة . أتظنهم فعلوا ذلك ظلماً ؟ أبداً . الطالب هو طالب ، وليس من شأنـه

أن يحدد كيف ينبغي أن تكون الأمور . اذا راح كل طالب في العشرين من العمر يحاول ان يقر نظامه فلسوف يتشوش كل شيء ، ولا يبقى في هذه الدنيا مكان للناس العقلاء المعقولين . عليك أن تتعلم أولاً ، وحين تغدو في عملك خبيراً يحين الحين لتبدأ انتقاداتك . والى أن يأتي ذلك الوقت فلكل انسان الحق في أن يقول «بخ !» لانتقاداتك . لا أقول هذا تشفياً ، بل أقوله من أعماق قلبي لأنك ابني ، لحمي ودمي ، وما شابه ذلك . أنا لن أقوله لنيل ، بالرغم من أنني بذلت كثيراً من الجهد معه ، فهو وان يكن ابني بالتبني ، لكن دمه يختلف عن دمي . وكلما كبر كلما ابتعد عني . أعلم أنه خلق ليكون وغداً — ممثلاً أو شيئاً من هذا القبيل . . . ولعله يغدو اشتراكياً . حسناً ، فليصر اشتراكياً . هذا ما يستحقه !

أكولينا ايفانوفنا (تطل من الباب وتقول في صوت ذليل شاك) : ألم يحن وقت الطعام ، يا أبي ؟

بيسيمينوف (في حدة) : أخرجي من هنا ! لا تدسي أنفك فيما لا يخصك . (تغلق أكولينا ايفانوفنا الباب . تنظر تاتيانا الى والدها نظرة موبخة ، وتنهض على قدميها ، وتروح تتجول في الغرفة من جديد .) أرأيتما ؟ أمكما لا تجد لحظة هدوء — فهي أبداً آخذة أهبتها لتحميكما — تخشى أن أجرح شعوركما . لا أريد ان أجرح أحداً . ولكنكما جرحتما مشاعري ، جرحتماها حتى الصميم . فأنا أسير في بيتي باحتراس ، فكأن الأرض

مفروشة بزجاج مكسور . وكفّ أصدقائي القدامى عن زيارتي ، فهم يقولون : نال ولداك ثقافة رفيعة ونخشى أن يسخرا من أناس بسطاء من أمثالنا ! انتما سخرتما منهم أكثر من مرة ، مما ضرجني ذلك خجلاً . لقــــد هجرني أصدقائي جميعاً ، فكأن الابناء المثقفين طاعون . أنتما لا تبديان بأبيكما اهتماماً ، ولا تخاطبانــــه قط بكلمة واحدة رقيقة ، ولا تخبرانه أبداً عما يجول في ذهنيكما ، ولا تفضيان له بمشاريعكما ألبتة . أنــا أشبه برجل غريب بالنسبة اليكما . ومع هذا فأنــــا أحبكما ! أجل ، أحبكما ! أتفهمان معنى هذا – ان تحب شخصاً ؟ طردوك من الجامعة ، فتعذبت أنا من جــراء ذلك . بلا مبرِّر تذوي تاتيانا ، العانس ، وأنــــــا يتملكني الأسى لذلك . بل لا أدري ماذا أقول للناس . فهل ابنتي تاتيانا أسوأ من الاخريات اللواتي تزوجن ولديهن كل ما يجب ان يكون ؟ أريد أن أراك رجلاً ، يا بيوتر – وليس طالباً . أنظر الى ابــــن فيليــــب نازاروف – لقد أنهى دراساته ، وتزوج بفتاة لهــــا بائنة طيبة ، وحصل على عمل راتبه ألفان في السنة ، ولسوف يُنتخب عاجلاً عضواً في مجلس بلديـــــــة المدينة . . .

بيوتر : أنتظر ، لسوف أتزوج بدوري عندما يحين الاوان .

بيسيمينوف : أنا لا أشك في هذا ! أنت على استعداد للزواج غداً ، لكن ممن ؟ من امرأة طائشة خليعة ! اضف الى ذلك انها أرملة ! يا للاسف !

بيوتر (منفجراً) : ليس لك الحق ان تنعتها بهذه الصفات !
بيسيمينوف : أنعتها بماذا ؟ بأرملة ؟ أم بخليعة ؟
تاتيانا : أبتاه ! أرجوك ، أرجوك ! كف عن هذا الموضوع ! بيوتر ، ابرح الغرفة أو اصمت ! أنا أسكت ، فلماذا لا تفعل أنت مثلي ؟ اسمعوا ! أنا لا أفهم شيئاً . حين تتحدث ، ياوالدي ، يخال لي أنت محق ! وأنت محق من دون ريب . أنا أشعر بذلك ، صدقني ! ولكن مـا هو حق بالنسبة اليك ليس هو حق بالنسبة الينا – بيوتر وأنا . ألا ترى ذلك ؟ ان لنا وجهات نظرنا الخاصة – رويدك ، يا أبي ، لا يأخذنك الغضب ! كل منـا عـلى حق يا ابتاه . . .
بيسيمينوف (ينتفض واثبا) : هذا كذب ! واحد منا فحسب على حق ! أنا على حق ! كيف يمكن أن تكونا على حق ؟ أريني كيف ! أثبتي ذلك !
بيوتر : لا تصح ، يا أبي ! أنا أقول ذلك أيضاً . أنـت على حق ، ولكن طريقة رؤيتك للأمور طريقة ضيّقـة جداً بالنسبة الينا . لقد كبرنا بالنسبة اليها مثلما كبرنـا فضاقت علينا ثيابنا . انها تضايقنا ، تخنقنا . وان كل ما كان يشغـل بالـك وأسلوبـك في الحيـاة لا يناسبنا . . .
بيسيمينوف : طبعاً ، لا يناسبكما ! من تحسبوا انفسكـم ؟ مثقفين . أما أنا ؟ فأنا أحمق . وأنتم . . .
تاتيانا : ليس الأمر على هذا الغرار ، يا أبتـاه . . . مـا تقول ليس . . .

بيسيمينوف : أجل ، هو على هذا الغرار . هو على هذا الغرار بالضبط ! زملاؤكما يحضرون لرؤيتكما – والبيت يضجّ بالصخب فلا يقوى المرء حتى على النوم ليلاً . (الى بيوتر) وأنت تغازل تلك المرأة التي تسكن هنا أمام باصرتيّ . (الى تاتيانا) وأنت متجهمة الوجه دائماً وانا وأمكما ننكمش في زاوية . . .

أكولينا ايفانوفنا (تندفع في الغرفة وتصيح في اسى) : آه ، يا أحبائي ! وكأنني . . . هيا ، يا عزيزي ، أترانـي شكوت قط ؟ أنا في الزاوية ، أو هنالك في الحظيرة ، شريطة الا يدب بينكم اختصام ! لا تهبوا في وجوه بعضكم بعضاً ، يا أحبائي !

بيسيمينوف (يمسك بها باحدى يديه ويدفعها عنه بالأخرى) : أغربي من هنا ، أيتها العجوز ! فهما لا يحتاجان اليك . هما لا يحتاجان أياً منا ! فهما أكثر منا ذكاء ، نحن غريبان عنهما .

تاتيانا (مزمجرة) : يا للعذاب ! يا للعذاب !

بيوتر (وقد أشحبه اليأس) : ألا ترى ، يا أبتاه ، أن هذا سخيف ! سخيف بصورة مقيتة ! على حين فجأة ، ومن دون أي سبب . . .

بيسيمينوف : على حين فجأة ؟ أبداً ! ليس على حين فجأة . منذ أعوام كثيرة وهذا ينخر في فؤادي !

أكولينا ايفانوفنا : أتركه على سجيته ، يا بيتيا ، ولا تناقشه ! يا تانيا ! اشفقا على أبيكما !

بيسيمينوف : سخيف ؟ أبداً ، أيها الأحمق ! ليس سخيفاً ، بل مروعاً ! على حين فجأة — الأب والولدان — جميعهم على حق ! حيوانان ، هذه حصافتكما !

تاتيانا : بيوتر ، أخرج من الغرفة ! إهدأ ، يا أبي — إهدأ ، أرجوك .

بيسيمينوف : ليس فى قلوبكما أية شفقة ! تعصران منا الحياة . بماذا تفخران ؟ ماذا فعلتما كيما تفخران به ؟ أما نحن ، فنحن قد عشنا ! وعملنا . وبنينا البيوت — من أجلكما . ارتكبنا المعاصي — كثيراً من المعاصي ، كل ذلك من أجلكما !

بيوتر (صائحاً) : هل طلبت منك ذلك يوماً ؟

أكولينا ايفانوفنا : بيوتر ! وحقّ الله . . . !

تاتيانا : أخرج من الغرفة ، يا بيوتر ! أنا لا أطيق ذلك ! سأرحل ! (تتهالك على مقعد مرهقة .)

بيسيمينوف : آها ! تهربان من الحقيقة ! مثلما يهرب الشيطان من البخور . صحا ضميركما آخر الأمر !

نيل (يفتح الباب على مصراعيه ويقف عند المدخل . لقد رجع من العمل لتوه . وجهه قذر ملوث بالتراب والهباب . ويداه قذرتان أيضاً . يرتدي جزمة تصل حتى ركبتيه ملطخة بالوحل ، ومعطفاً قصيراً مشدوداً بحزام يلتمع بالاوساخ والشحوم . يمد يده خلال حديثه .) : أعطوني عشرين كوبيكاً بسرعة أدفعها للحوذي ! (ينهي ظهوره المفاجئ وصدى صوته الهادئ الصراخ في الغرفة في

الحال ، ويروح الجميع يحدقون فيه في صمت . يلحظ الأثر الذي أحدثه حضوره فيخمن السبب بسرعة . يقول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة موبخة) : مرة اخرى ! شجار جديد !

بيسيمينوف (صائحاً في حدة) : انت ، ايها الكافر ! اين تحسب نفسك ؟

نيل : كيف ، أين أنا ؟

بيسيمينوف : قبعتك ! اخلع قبعتك !

أكولينا ايفانوفنا : كيف تفعل هذا في الحقيقة ؟ تندفع في غرف البيت بهذه الثياب القذرة ! كيف تفعله !

نيل : عجلوا وأعطوني عشرين كوبيكاً !

بيوتر (في صوت خافت وهو يناوله النقود) : ارجع الى هنا بأقصى سرعة . . .

نيل (مبتسماً) : تريد مساعدة مني ؟ موقف صعب ، هـا ؟ سأرجع حالاً !

بيسيمينوف : ها هو ! هذا واحد آخر يفعل كل شيء في نوبات وانتفاضات ، يحشون رأسه أفكاراً غريبة . ولا يكنّ احتراماً لأي انسان في الوجود . . .

أكولينا ايفانوفنا (تحاكي نبرته) : صحيح ما تقول ! مشاكس ، هذا ما هو عليه ! أسرعي ، يا تانيا ، اذهبي . . . الى المطبخ . . . اذهبي الى المطبخ واخبري ستيبانيدا أن تجلب طعام الغداء . . .

(تخرج تاتيانا)

بيسيمينوف (في ابتسامة جافة) : والى أين ستبعثين ببيوتر ؟ آخ منك ، أيتها العجوز الغبية ! انت غبية حقاً . هـل تحسبينني وحشاً ؟ ألا ترين أن الأمر ليس بسبب أني قاس ، بل بسبب أني قلق . . . قلق عليهما . ليس الغضب ما يدفعني الى الصراخ على هذه الوتيرة ، بـل الآلام التي تحز في روحي . ففيم تظلين تبعدينهما عني ؟

أكولينا ايفانوفنا : أنا أعرف ، ياعزيزي . أرى كيف هـي الأمور ، ولكني أشفق عليهما ! أنت وأنا عجوزان . نحن كما نحن ، أنت وأنا . ما حاجتهما الينا ؟ يا الهي ! اي فائدة لهما منا ؟ أما هما فأمامهما الحياة بطولها ! وكذا جميع الضربات التي سيتلقياها من الغرباء ذانـك الحبيبان المسكينان !

بيوتر : لا أرى سبباً لاثارة القلق في نفسك ، يا أبتاه . لقد أقحمت هذه الفكرة في ذهنك . . .

بيسيمينوف : أنا خائف ! خائف من الأيام . فهي أيام سيئة ! الأشياء جميعاً تتهاوى . تتحطم . والحياة جيشان ! وأنا خائف عليك . ماذا لو . . . ؟ فمن يأخذ بيدنـا في شيخوختنا اذن ؟ أنت الذراع الوحيدة التي نعتمـد عليها . أنظر الى نيل هذا . . . أنت تراه على حقيقته ! وتيتيريف أيضاً . فان له الريش ذاته ! حذار منهمـا معاً ! فهما يكرهاننا ! فحذار !

بيوتر : هراء ! لن يصيبني مكروه . سأنتظـر فترة أخرى

وعندها أكتب الى الجامعة وأطلب اعادتي اليها .

أكولينا ايفانوفنا : عجّل في ذلك ، يا بيتيا ، كيما يطمئن أبوك . . .

بيسيمينوف : أنا أثق فيك ، يا بيوتر ، حين تتحدث على هذا المنوال . . . في جدية وحكمة . أثق عندها أنك ستقضي حياتك ليس أسوأ مما قضيت حياتي . وفي أحيان أخرى . . .

بيوتر : فلنطوين هذا الموضوع ! كفاية ! فنحن نكرره ونكرره على الدوام !

أكولينا ايفانوفنا : يا حبيبيي العزيزين !

بيسيمينوف : وهنالك تاتيانا أيضاً ! آه ! الافضل ان تترك مدرستها ! فماذا جنت منها ؟ التعب وحده . . .

بيوتر : انها في حاجة الى الراحة حقاً .

أكولينا ايفانوفنا : اوه ! دون ريب ، دون ريب !

نيل (وقد أبدل ثيابه فارتدى قميصاً أزرق ، ولكنه لم يغتسل بعد) : متى سنتغدى ؟

(ينصرف بيوتر بسرعة الى الباب المؤدي الى المدخل فور رؤيته نيل)

بيسيمينوف : كان يحسن أن تغسل بوزك قبل أن تسأل عن الطعام .

نيل : بوزي ليس كبيراً – أستطيع غسله في لحظات . ولكنني جائع كالذئب ! مطر بارد وريح وقاطرة قديمة

معطوبة – ذقت فيها الامرّين الليلة الماضية ! لقد خارت قواي ! أود ان أحمل رئيس قسمنا على ان يقوم بجولة في هذه القاطرة وفي مثل هذا الجو . . .

بيسيمينوف : كفى ثرثرة ! أرى أنك أصبحت تتحدث بمزيد من الحرية عن رؤسائك . حذار ، والا ساءت الأمور !

نيل : لن تسوء بالنسبة اليهم .

أكولينا ايفانوفنا : الأب لا يتحدث عنهم ، بل هو يفكر فيك .

نيل : آه ، يفكر فيّ .

بيسيمينوف : أجل ، أفكر فيك !

نيل : آه . . . . ه !

بيسيمينوف : لا تتأوه ! بل اسمعني .

نيل : انني أسمع .

بيسيمينوف : أنت متغطرس .

نيل : أنا متغطرس منذ زمن طويل ؟

بيسيمينوف : لا أسمح لك بالتحدث معي بهذا اللسان السليط !

نيل : أنا عندي لسان واحد (يمدّ لسانه) . اتحدث به مع الجميع . . .

أكولينا ايفانوفنا (وهي تلوّح بيديها) : يا لك من عديم الحياء ! فكّر فيمن تخرج له لسانك !

بيسيمينوف : رويدك ، يا أم ، مهلاً ! (تخرج أكولينا ايفانوفنا وهي تهز رأسها لائمة) . أنت يا فتى جدّ ذكي ! يروقني أن أتحدث معك قليلاً .

نيل : بعد الغداء ؟

بيسيمينوف : كلا ، الآن !

نيل : يفضل ان تتحدث بعد الغداء ! صدقني أنني مرهق وجائع والبرد ينخر عظامي . هلاّ أجلت الحديث من فضلك . ثم . . . ماذا تستطيع ان تقول لي ؟ أنت تبحث عن شجار ، وأنا لا يروقني الشجار معك . بل افضل أن . . . حسناً . . . أخبرني صراحة أنك لا تطيقني ، وأنني سوف . . .

بيسيمينوف : فليخطفنّك الشيطان ! (يذهب الى غرفته ، ويغلق الباب وراءه بشدة واحكام .)

نيل (مغمغماً) : حسن ! اني أفضل رفقة الشيطان على رفقتك . . . (يتمشى في الغرفة مدندناً بينه وبين نفسه . تدخل تاتيانا .) هل تشاجرتم مرة أخرى ؟

تاتيانا : لا يمكن ان تتصور . . .

نيل : بلى ، أتصور جيداً جداً . مشهد مأسوي من ملهاة لا نهاية لها : «لا هنا ولا هناك» .

تاتيانا : سهل عليك الحديث على هذه الشاكلة ! ففي مقدورك التنحي جانباً .

نيل : في مقدوري ان أدفع هذا الهراء جانباً . وما أسرع أن أطرحه كله الى الابد . فأنا أحاول الانتقال الى عمل ميكانيكي في الورشة . فلقد سئمت وتعبت من قيادة قطارات البضائع ليلة بعد أخرى ! كان الأمر يختلف لو كانت قطارات ركاب – سريعة – تطير في الهواء ، بأقصى سرعة الى الأمام ! أما هذه – فتزحف بطيئة وليس الى جانبك غير الوقاد ! شيء ممل ! أنا أحب

أن أعيش بين الناس . . .

تاتيانا : ومع ذلك فأنت تهرب منا .

نيل : صفحـــك عني ، لكن أي انســان كان يود أن يهرب منكم ! أنا أعشق الحياة ، والضجة ، والصخـــب ، والعمل ، والناس المرحين البسطاء ! أتحسبين أنكـم تعيشون ؟ أنتـم تتعلقون فحســب بجوانب الحياة ، ولسبب مجهول توالون الأنين والشكوى . . ممن ولماذا ومن أجل اي شيء ؟ هذا الامر يتجاوز ادراكي !

تاتيانا : يتجاوزه حقاً ؟

نيل : حقاً ! حينما يرى المرء نفسه مستلقياً بصورة غيــر مريحة ينقلب على جنبه الآخر ، أما حين يجد الحياة غير مريحة فهو لا يفعل أكثر من التشكي والأنين . فلِــمَ لا يبذل جهداً للانقلاب على الجنب الآخر ؟

تاتيانا : قال أحد الفلاسفة مرة ان الحمقى وحدهم يجدون الحياة بسيطة !

نيل : يبدو أن الفلاسفة يعرفون عن الحماقة أموراً كثيرة . أنا لا أعتبر نفسي حكيماً . غير أنني أجد الحياة معكم كئيبة بصورة لا تطاق ، ولا أعرف لماذا . قد يكون ذلك لانه يروق لكم ان تتذمروا على الدوام . وفيم ذلك ؟ ومن سيساعدكم ؟ لا أحد . ليس هنالك من يقوى عـــلى ذلك ، و . . . الأمر لا يستأهل هذا لو وجد ذلـــك الانسان .

تاتيانا : ما الذي يجعلك على مثل هذه الجلافة ، يا نيـــل ؟

نيل : أتسمين هذا جلافة ؟

تاتيانا : قل : قسوة . اعتقد انك قد أصبت بالعدوى من تيتيريف ، هذا الذي يكره الجميع لسبب من الأسباب .

نيل : ليس الجميع (مطلقاً ضحكة قصيرة) هل خطر لك مرة أن تيتيريف يشبه الفأس ؟

تاتيانا : الفأس ؟ ماذا تقصد ؟

نيل : فأساً حديداً عادية لها مقبض خشبي .

تاتيانا : كلا . لا تمزح ، أرجوك لا تمزح . أود ان اقول لك . . . يسرني التحدث اليك ، فأنت طاهر ، بيـــد أنك قليل . . . قليل الاكتراث . . .

نيل : بماذا ؟

تاتيانا : بالناس . بي مثلاً .

نيل : هم . . . ليس بالجميع . . .

تاتيانا : بل بي . . .

نيل : أنت ؟ كذا (يجنحان الى الصمت . نيل يتفحص مقدمة حذائه . تاتيانا تشخص اليه منتظرة شيئاً ما .) أنت ترين ، فأنا . . . أنت . . . (تاتيانا على وشـــك ان تندفع اليه لكنه لا ينتبه اليها .) أنا . . . أحترمك جداً . . . وأحبك ولكنني لا أرى فيم ينبغي أن تكوني معلمة مدرسة . أنت لا تحبين عملـــك . انه يضجرك وينهك قواك . والتدريس عمل عظيم ! فالأطفال هـــم نساء المستقبل ورجاله . ويجب عليك أن تحبيهـــم وتعرفي قدرهم . يجب أن تحبي أي عمل اذا شئت أن تؤديه بصورة جيدة . خذيني مثلاً . . . أنا أحب أن أعمل في طرق الحديد . يفتنني أن أهوي بالمطرقة على

كتلة حمراء لا شكل لها من الحديد لاذعة خبيثة . . .
فأجد متعة شديدة في الضرب عليهـــا ! تروح تنفث
بصقات نارية لافحة محاولـة أن تعمي عيني وأن تطير
من بين يدي . انها تتنفس ، انها حية ، مرنة ، وأنت
تهوي بضرباتك القوية عليها ،وتصنع منهـا ما يحلو
لك .

تاتيانا : يجب أن يكون المرء قوياً للقيام بهذا العمل .

نيل : وماهراً .

تاتيانا : اسمع يا نيل . . . ألا تشعر احياناً بالشفقة . . .

نيل : على من ؟

يلينا (وهي تدخل) : لم تتناولوا غداءكم بعد ، أليس كذلك ؟
حسن . أرجوكما ان تذهبا معي ! يجب أن تريا الكعكة
التي خبزت ! أين المدّعي العام ؟ كعكة رائعة حقاً !

نيل (يقترب من يلينا) : أنا ذاهب ! لسوف ألتهم كعكتك
الرائعة كلها . أنا أموت جوعاً ، وهم لا يعطونني مـا
آكل عن قصد ! غضبوا مني لسبب أو آخر .

يلينا : هذا بسبب من لسانك ، فيما يخال لي . تعالـــي ،
يا تانيا !

تاتيانا : ينبغي أن أخبر أمي أولاً . (تخرج .)

نيل : كيف عرفت أني أخرجت لساني للرجل العجوز ؟

يلينا : ماذا تقول ؟ لم أعرف شيئاً ! ماذا حدث ؟

نيل : في هذه الحال لن أخبرك شيئاً . أفضل ان تخبرينـــي
عن كعكتك الرائعة .

يلينا : لسوف أعرف ما حدث هنا ! أما الكعكة – فقد علمني

صنعها سجين حكم بجريمة قتل . أجاز له زوجي المساعدة في المطبخ . كان رجلاً نحيلاً يثير الرثاء . . .

نيل : زوجك ؟

يلينا : ماذا تقول يا سيدي المحترم ! كان زوجي يبلغ ١٢ فيرشوك * طولاً ، فضلاً عن متر ونصف .

نيل : أكان فتى واطئاً بهذا القدر ؟

يلينا : صه ! وكان له شاربان بهذا الطول . (تشير بأصابعها .) ثلاثة فيرشوك طولاً في كل جانب . . .

نيل : أبداً لم أسمع من قبل عن مزايا انسان تقاس بفيرشوك !

يلينا : واأسفاه ! لم يكن له من مزايا غير شاربيه !

نيل : يا للحسرة ! واصلي حديثك عن الكعكة . . .

يلينا : كان السجين طاهياً ، وقد قتل زوجته . ولكني كنت معجبة به جداً . أنه قتلها ضمن ما . . .

نيل : ضمن ما كان يفعله . . . فاهم ذلك !

يلينا : أغرب عن وجهي ! لست أريد الحديث معك ! (تظهر تاتيانا عند المدخل تراقبهما . يدخل بيوتر من باب آخر .) أيها المدعي العام ! تعال ، وتذوّق كعكتي !

بيوتر : بمنتهى السرور !

نيل : عنفه والده اليوم لعدم اظهاره الاحترام الواجب .

بيوتر : أوه ، كفى !

---

* فيرشوك مقياس روسي قديم للطول وهو يساوي ٤,٤ سم . **الناشر** .

نيل : أنا مندهش كيف يجرؤ على زيارتك قبل الحصول على إذن أولاً .

بيوتر (ينظر الى باب غرفة والديه ويقول في عصبيـــة) : فلنذهب اذا كان ذلك مقررا !

تاتيانا : إسبقوني . سألحق بكم سريعاً . . .

(نيل وبيوتر ويلينا يخرجون . تتجه تاتيانا الى غرفتهـــا . يناديها صوت أكولينا ايفانوفنا من غرفة العجوزين في ذلك الوقت .)

أكولينا ايفانوفنا : تانيا !

تاتيانا (تقف وترفع كتفيها متضايقة) : ماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا (عند المدخل) : تعالي ! (في شبه همس) هل ذهب بيتروشا * لرؤية تلك المرأة من جديد ؟

تاتيانا : أجل . وسأذهب بدوري .

أكولينا ايفانوفنا : بلوى ! ستوقعه هذه الطائشـــة في شباكها ! أحسّ بذلك في نخاعي ! هلاّ نصحت له ! أخبريه أن ينأى عنها . أخبريه انها ليست اهلاً له ! فهي لا تملك أكثر من ثلاثـــة آلاف وراتب زوجهـــا التقاعدي . أعرف ذلك حق المعرفة !

تاتيانا : لا تتدخلي في هذا الموضوع ، يا أماه ! فيلينا لا تبدي شيئاً من الاهتمام ببيوتر .

---

* اسم التدليل من بيوتر . **الناشر** .

أكولينا ايفانوفنا : انها تفعل ذلك عامدة ! عامدة أقول لك ! كيما تلهبه حباً ! انهـا شيطانة تتصنع عدم الاهتمام به ، ولكنها في الوقت ذاته تراقبه مثلما يراقب القط فأرة .

تاتيانا : أه ! وما علاقتي أنا بذلك ؟ ما شأني وذلـك ؟ أخبريه أنت اذا طاب لك ، لكن دعيني وشأني ! أنا متعبة ، أفلا ترين ذلك ؟

أكولينا ايفانوفنا : لا ضرورة أن تحدثيه الآن . استلقي ، يا عزيزتي ، واستريحي . . .

تاتيانا (في شبه صراخ) : لا مكان أستريح فيه ! انني متعبة حتى البقية الباقية من عمري . . . حتى البقية الباقية من عمري ! هل تسمعين ؟ متعبة منكم . متعبـة من كل شيء ! (تسرع الى باب المدخـل . تخطو أكولينـا ايفانوفنا خطوة وكأنها تود ايقافها ، ولكنهـا تأتي بيديها حركة يائسة ، وتقف في مكانها فاغرة فاهـا في حيرة .)

بيسيمينوف (يتطلع عبر الباب) : شجار جديد ؟

أكولينا ايفانوفنا (منتفضـة) : كلا . لا شـيء . . . لا شيء . . .

بيسيمينوف : فهي ماذا ؟ هل أغلظت لك في القول ؟

أكولينا ايفانوفنا (في عجلة) : كلا ! ما الذي يدفعك الى هذا الظن ؟ قلت ان الوقت حان لتناول الغداء ، وقالت انها لا تريد أن تأكل ، فسألتها لماذا ، فأجابت . . .

بيسيمينوف : أنت لا تقولين الحقيقة ، أيتها الأم .

أكولينا ايفانوفنا : ولكنني أقول الحقيقة ، فعلاً !

بيسيمينوف : يا للأكاذيب التي تروين في مصلحتهما ! أنظري في عينيّ . لا تستطيعين ، أليس كذلك ؟ آخ ! (تقف أكولينا ايفانوفنا صامتة امام زوجها مطرقة رأسها ، ويقف هو صامتاً يمسّد لحيته في تفكير . يزفر متنهداً .) أخطأنا حين علّمناهما .

أكولينا ايفانوفنا (في لطف) : ليس الأمر هكذا ، أيها الأب ! فبسطاء الناس في هذه الأيام ليسوا أفضل من المثقفين . . .

بيسيمينوف : ليس من المناسب أن يعطي المرء أولاده أكثر مما حصل عليه هو نفسه . وأكثر ما يحزنني هو أنهما لا يملكان حزماً ولا أية شخصية . يجب على الانسان ان يملك شيئاً يجعله يختلف عن الآخرين . وهما لا يملكان مثل هذا الشيء . فليس لهما شخصية ! خذي نيل مثلاً – انه صفيق ، وغد ، ولكن له شخصيته ! انه خطير ، ولكنك تستطيعين فهمه . (يرسل زفرة عميقة .) يوم كنت يافعاً أحببت الاناشيد الكنسية كما أحببت أن أجمع الفطر من الغابات . فهل هنالك شيء يحبه بيوتر ؟

أكولينا ايفانوفنا (في تنهيدة خجلى) : لقد ذهب الى المرأة المستأجرة . . .

بيسيمينوف : هكذا اذن ! ويلها ! سأرينّها ! (يدخل تيتيريف يبدو عليه النعاس والتجهم أكثر من ذي قبل . يحمل في احدى يديه زجاجة من الفودكا ، وفي

الأخرى قدحاً .) عدت اليه من جديـــــد ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف : الليلة الماضية ، بعدما انتهت صلاة الغروب . . .

بيسيمينوف : ما السبب ؟

تيتيريف : ليس هناك سبب . هل سيجهز الغداء فوراً ؟

أكولينا ايفانوفنا : حالما أعد المائدة . (تشرع في اعدادها .)

بيسيمينوف : يا للأســـف الشديـــد ، يا تيرينتـــي خريسانفوفيتش . رجل ذكي مثلـــك يدمر نفســـه بالشراب !

تيتيريف : أنت على خطأ ، أيها البورجوازي المحترم جداً ! ليس الشراب ما يدمرني ، بل الافراط في الطاقة . قوة فائضة جداً – تلك مصيبتي !

بيسيمينوف : ليس هنالك قوة فائضة . . .

تيتيريف : تخطئ أيضاً ! القوة غير مفيدة في هذه الايـام . المكـر والاحتيـال هما المطلـــوب فـي هذه الأيام . المراوغة . على المرء أن يكون مراوغاً كالثعبان . (يشمر عن ساعديه عارضاً عضلاته .) أنظر الى هذا : ضربة واحدة وتتحطم المنضدة قطعاً صغيرة . لكن في الحياة ما من شيء أقوم به . في مقدوري أن أقطع الأخشاب بهذه اليد ، ولكنني عاجز عن الكتابة بها مثلاً ، ومن الحماقة أن أحاول ذلك . ماذا تراني فاعل بمثل هذه القوة العظيمة ؟ الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أفعله بها هو أن أعرضها في سيرك السوق – أرفع الاثقال واحطم السلاسل الحديد – الخ . . . لكنني كنت طالباً

مرة ، وطالباً متفوقاً – ولهذا طردوني من المعهد اللاهوتي . كنت طالباً ، وأنا لا أريد الآن أن انقلب الى مادة معروضة على الناس من أمثالك يحدقون فيها في رضى هادئ . أريد الجميع أن يحدقوا فيّ في اضطراب جيّاش . . .

بيسيمينوف : أنت رجل خبيث . . .

تيتيريف : الحيوانات في مثل حجمي لا تكون خبيثة – أنت لا تفقه شيئاً في علم الحيوان . الطبيعة شديدة الذكاء . فلو أضافت الى حجمي الكبير شيئاً من الشر ، فكيف يمكن أن تجد لنفسك مهرباً مني ؟

بيسيمينوف : لم أكن لأحاول ذلك . أنا في بيتي .

أكولينا ايفانوفنا : يفضل ان تصمت ، أيها الأب .

تيتيريف : صدقت ! أنت في بيتك . العالم بأسره هو بيتك . أشدته بنفسك . ولهذا فليس هنالك متسع لي فيه ، أيها البورجوازي المحترم جداً !

بيسيمينوف : انت تحيا عبثاً . . . لا فائدة منك . ولو كنت تريد . . .

تيتيريف : لا أريد ان أريد . فأنا أكره ذلك . وأجد أنه من الأفضل أن أشرب وأدمر نفسي عن أن أحيا وأعمل لك ولأمثالك ايها البرجوازي . أتستطيع أن تتخيلني غير مخمور ، أنيق الملبس ، أخاطبك باللغة الذليلة التي يخاطبك بها خادمك المطيع ؟ كلا ، لا تستطيع . . . (تدلف بوليا الى الغرفة ، وحينما تقع عيناها على تيتيريف تتقهقر متراجعة . يراها هو ، فيبتسم ابتسامة

عريضة ، ويهز رأسه ويمدّ لها يده) يا مرحباً ، لا يستبدنّ بك الخوف . لن أقول كلمــــة أخرى لأني أعرف كل شيء !

بوليا (مرتبكة) : ماذا ؟ لا يمكن أنك عرفت . . .

أكولينا ايفانوفنا : أنت ! اذهبي وقولي لستيبانيدا أن تحضر الحساء . . .

بيسيمينوف : حان الوقت . . . (الى تيتيريف) يؤنسني حقاً الاصغاء اليك وأنت تطلق أفكارك ، خاصة حين تكون هذه الأفكار عن نفسك . أنظر اليك – لابدّ لي مــــن القول انه مشهد مخيف ! حالما تشرع في التفاصح أميّز جميع نقاط الضعف فيك . . . (يقهقـــــه في هدوء وحبور)

تيتيريف : أنت تروق لي أيضاً . فأنت نصف حصيف ونصف أحمــــق ، نصف طيب ونصف شرير ، نصف صادق ونصف كاذب ، نصف شجـــاع ونصف جبـــان . وباختصار ، أنت بورجوازي نموذجي ! وجدت فيـــك الحقارة تجسيداً مثاليـــاً ، وهي قوة ينحني أمامهـــا الابطال أنفسهم – قوة تعيش وتزدهر . . . فلنشربنْ اذن قبل حساء الملفوف ، أيها الخلد المحترم !

بيسيمينوف : رويدك ريثما يحضرونه . لكن ، فيـــم هذه الخشونة ؟ لا ينبغي أن تجرح شعور الناس من دون سبب . يجب أن تعبر عن رأيك في تواضع ولطف حتى يسعدهم الاصغاء اليك . فليس هنالك من يروقـــه

الاصغاء الى الاهانات ، ما لم يكن مغفلاً !

نيل (داخلاً) : هل جاءت بوليا ؟

تيتيريف (في ابتسامة مقتضبة) : جاءت . . .

أكولينا ايفانوفنا : وما شأنك بهذا ؟

نيل : (الى تيتيريف ، متجاهلاً سؤالها) : عدت اليه ثانية ؟ لقد أخذت تكثر منه . . .

تيتيريف : أن تشرب الفودكا أفضل من أن تشرب الدم البشري ، خاصة في هذه الآونة حيث أصبح الدم الانساني هزيلاً جداً ورديئاً جداً وعديم الطعم . الدم الثري الطيب صار قليلاً جداً . فقد امتصوه بأكمله . . .

(تدخل ستيبانيدا حاملة سلطانية الحساء ، وبوليا حاملة طبق اللحم)

نيل (يتجه الى بوليا) : مرحباً . هل جوابك جاهز ؟

بوليا (بصوت خافت) : ليس هنا ، أمام الجميع .

نيل :سخافة ! ممّ نخاف ؟

بيسيمينوف : عمّن تتحدث ؟

نيل : عني . وعنها .

أكولينا ايفانوفنا : ماذا هناك ؟

بيسيمينوف : لست أفهمك .

تيتيريف (في ضحكة مقتضبة) : أنا أفهم . (يصب لنفسه قدحاً من الفودكا ويشرع في الشراب .)

بيسيمينوف : ماذا هناك ؟ ماذا حدث ، يا بيلاغيا * ؟
بوليا (مرتبكة في صوت خافت) : لا شيء . . .
نيل (يجلس الى المائدة) : انه سر — لغز !
بيسيمينوف : ان كان سراً فامضيا وتهامسا به في احدى الزوايا ، وليس هنا أمام الجميع . تسخران منا في وجوهنا ! هذا يكفي ليطرد الانسان من بيته ! جميع هذه الاشارات السرية ، والهمسات ، والمؤامرات ، وأنا جالس هنا فاغراً فمي كالأبله . من تحسبني ، يا نيل ؟
أكولينا ايفانوفنا : حقاً ، يا نيل ، فالأمر . . .
نيل (في هدوء) : أنت والدي بالتبني . ولكن لا ضرورة للغضب وتهويل الأمور . فلم يحدث شيء خاص . . .
بوليا (ناهضة من المقعد الذي جلست عليه للتو) : نيل . . . فاسيلييفيتش . . . عرض عليّ . . . أخبرني الليلة الماضية . . . سألني . . .
بيسيمينوف : ماذا سألتها ؟ ماذا ؟
نيل (في هدوء) : لا تخيفها . . . سألتها ان كانت تقبلني زوجا . . .

(يحدق بيسيمينوف ، وقد توقفت ملعقته في الهواء ، في نيل وبوليا في دهشة وارتياب . وتتصلب أكولينا ايفانوفنا . يشخص تيتيريف في الفراغ وهو يطرف عينيه في بطء .

---

* الاسم الكامل لبوليا . **الناشر** .

ترتعش يده الموضوعة على ركبته ارتعاشاً متشنجاً . تنكس بوليا رأسها .)

نيل (مواصلاً حديثه) : وقالت انها ستعطيني الجواب هذا النهار . هذا كل شيء . . .

تيتيريف (ملوحاً بيده) : بسيط للغاية ، لا شيء غيره . . .

بيسيمينوف : هكذا . . . اذن . الأمر في الحقيقة بسيط جدا ! (في مرارة) وعصري جداً . . . على آخر طراز ! وبعد . ماذا أستطيع ان اقول !

أكولينا ايفانوفنا : انت كافر ! أنت شاب طائش ! كان يفضل ان تحدثنا عنه أولاً . . .

نيل (في أسى) : يا لها من زلة لسان !

بيسيمينوف : دعيه وشأنه ، أيتها الأم ! فهذا لا يعنينا في شيء ! تناولي غداءك ولا تقولي شيئاً . وأنا لن أقول شيئاً أيضاً . . .

تيتيريف (وقد انتشى سكراً) : أما أنا فسأقول . . . أو يفضل أن أمسك لساني حالياً . . .

بيسيمينوف : اجل . . . يحسن أن يمسك الجميع ألسنتهم . ولكنني لا أستطيع الامتناع عن القول انك تجحد بالخبز والملح ، يا نيل وبكل ما صنعت من اجلك . فأنت ، دائماً ، ترتب أمورك خلسة على هذا المنوال . . .

نيل : لقد سددت لك جميع ما صنعت من أجلي عن طريق العمل ، وسأتابع التسديد ، ولكني لا أرغب في الانحناء لرغباتك . أردت أن تزوجني تلك المرأة الغبية

المسماة سيدوفا لانها تملك بائنة قدرها عشرة آلاف روبل . فماذا أفعل بها ؟ أنا أحب بوليا . وقد أحببتها طويلاً ، ولم أحاول اخفاء ذلك . دائماً عشت صريحاً واضحاً وسأظل كذلك ، وليس لديك ما تلومني عليه وما تغضب عليّ بسببه .

بيسيمينوف (متحفظاً) : هكذا . هكذا ! عظيم . . . حسناً ، اذن ، اذهبا وتزوجا . ولن نقف في طريقكما . لكن ، لعلك تخبرنا على حساب من ستعيشان ؟ أخبرنا ان لم يكن ذلك سراً .

نيل :سنعمل . أنتقل الى الورشة . وهي . . . هي ستجد لنفسها عملاً ايضاً . ولسوف تظل أنت تتلقى مني ثلاثين روبلاً شهرياً مثلما كنت أدفع لك .

بيسيمينوف : ان غداً لناظره قريب . فما أسهل صرف الوعود !

نيل : خذ مني ايصالاً بذلك اذا رغبت . . .

تيتيريف : أيها البورجوازي ، خذ منه ايصالا ! خذه !

بيسيمينوف : ليس هنا أحد يطلب منك التدخل في هذا . . .

أكولينا ايفانوفنا : يا لك من ناصح رائع !

تيتيريف : خذه منه ، على أية حال ! لكنك لن تفعل – فضميرك واهن ، ولن تجرؤ على هذا . . . أعطه الايصال من تلقاء نفسك ، يا نيل ، واكتب فيه : اني ، الموقع أدناه ، أتعهد أن أدفع في كل شهر . . .

بيسيمينوف : أستطيع أن آخذه منه . ان لي الحق كما أظن ، فقد أطعمته وأسقيته ، وألبسته ، وأنعلته

منذ كان في العاشرة من عمره . وهو الآن في السابعة والعشرين . . . هكذا . . .

نيل : ألا يحسن أن نسوي حساباتنا فيما بعد ؟

بيسيمينوف : يمكن هذا . (منفجراً) لكن تذكر شيئاً واحداً ، يا نيل . من الآن فصاعداً أنت وأنا عدوان ! أبداً لن تغيب عن بالي هذه الاهانة — أبداً ، ليس في مقدوري ان أغفر لك الاهانة . تذكر ذلك !

نيل : أية اهانة ؟ لم تكن تنتظر في أن أتزوجك أنت ، أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (وقد أثاره الغضب فلم يسمع ما قال نيل له) : تذكر ! تسخر على هذا الغرار ممن أطعمك وأسقاك ! وتعمـــل في السر . حتى دون أن تسأل وتشاور (الى بوليا) وأنت ! أنت الوديعة الصغيرة الهادئة ! فيـــم تنكسين رأسك ؟ ليس لديك ما تقولين ؟ ما ؟ أتعرفين انني استطيع ان افعل بك ما . . .

نيل (ناهضاً) : لا تستطيع أن تفعل بها شيئاً ! كفّ عـــن الصراخ ! انا السيد في هذا البيت أيضاً . طوال عشر سنوات ظللت أعمل وأعطيك أجري كله . كثيراً مـــن عملي وضعت هنا ! (يدق بقدمه على الأرض ويشير الى الجدران حوله بحركة واسعة من ذراعـــه .) الانسان الذي يعمل هو السيّد . . .

(خلال حديث نيل تنهض بوليا وتخرج . تلتقي بيوتر وتاتيانا عند المدخل . يتطلع بيوتر الى الغرفـــة ويختفي ، وتقف تاتيانا مستندة الى دعامة الباب .)

بيسيمينوف (يحملـــق في نيل بعينين) : ما هذا ؟ أنت ، السيد ؟

أكولينا ايفانوفنا : تعال ، أيها الأب . هيا بنا من فضلك ! (تهز قبضتها في وجه نيل .) ويلك ، يا نيل ! (باكية) ستحصل على ما كنت تبحث عنه !

نيل (في اصرار) : الانسان الذي يعمل هو السيد ، فلا تنس ذلك !

أكولينا ايفانوفنا (تحاول أن تسحب زوجها وراءها) : تعال ، أيها العجوز ، تعال ! ليسامحهم الله . لا تتكلم ، ولا تصرخ ، فليس ثمة من يصغي الينا .

بيسيمينوف (يستسلم لها) : حسناً ! ابق هنا ايها السيد ! سنرى من هو السيد ! سنرى !

(يدخل بيسيمينوف وزوجته الى غرفتهما . يتمشى نيـــل في الغرفة مضطرباً . في مكان بعيد في الشارع يرتفع صوت أرغن يدوي)

نيل : هذا أنا فعلتها ! أي شيطان دفعني الى فتح فمـــي لأسألها ، أنا الغبي ! لا أقوى أبداً على أن أضغط سري في جوانحي – فكل شيء يزلّ عن لساني رغمـاً عني ! يا للاسف . . .

تيتيريف : لا بأس ! مشهد صغير يبعث على الاهتمام الكبير ، استفزني السرور مما راقبت وسمعت . شيء لا بأس به ! لا تقلق ، أيها الاخ ! فأنت موهوب . في مقدورك ان تلعب دور البطل . والأبطال مطلوبون في اللحظـــة

الراهنة . صدقني ! في زماننا يجب تقسيم الناس جميعاً الى طبقتين : الأبطال ، يعني الحمقى ، والأنذال ، يعني الاذكياء . . .

نيل : لماذا الزمت بوليا بمثل هذا المشهد المقرف ؟ لقد أرعبتها فيما يتراءى لي . بيد أنها ليست ممن يرتعبون بسهولة . هي أكثر استعداداً للغضب . . . تفو !

(حينما تسمع تاتيانا ، وقد وقفت عند المدخل ، اسم بوليا تصيبها رعشة . يكف الارغن اليدوي عن ارسال ألحانه .)

تيتيريف : سهل جداً أن تقسم الناس الى حمقى وأوغاد . فالعالم يعج بأوغاد لا حصر لهم ! وأذهانهم تعمل مثل أذهان الحيوانات يا أخي ! فهم لا يعرفون غير القوة — قوة ليست من صنف قوتي أنا — ليست القوة التي في صدري أو ذراعي ، لكن قوة الدهاء . . . فذهن الحيوان مكر كله .

نيل (دون أن ينصت اليه) : علينا الآن أن نسرع بيوم الزواج . فهذا أفضل . هي لم تعطني جوابها بعد ، ولكنني أعرفه سلفاً ، فهي حبيبتي العزيزة ! لكم أكره هذا الرجل ! وهذا البيت ! والحياة هنا — المتعفنة حتى مخ عظامها ! جميع الناس الذين يعيشون هنا غير طبيعيين . أنهم لا يشعرون أنهم ، هم أنفسهم ، من جعلوا الحياة على ما هي عليه — جعلوها مقتصرة على التفاهات ، جعلوها سجناً ، عذاباً ، لعنة . وكيف

صنعوها على هذا الغرار شيء يفوق ادراكي ، ولكنني أمقت كل مَنْ يفسد الحياة . . .

(تقوم تاتيانا بخطوة واحدة الى الأمام . تتوقف ثم تتجه دون أن يندّ عنها صوت الى الصندوق فتجلس على زاويته . تتكوّر على نفسها ، فتبدو صغيرة وأكثر مدعاة للشفقة منها في أى وقت مضى .)

تيتيريف : الحمقى هم الذين يجعلون الحياة اكثر جمالاً . وهم ليسوا كثيرين ، وما يبحثون عنه لا يبحثون عنه من أجل أنفسهم فقط ، بل في الغالب من اجل الآخرين . وهم مغرمون بالتفكير في مشروعات تحقق السعادة العامة وغير ذلك من الهراء . وهم يحاولون أن يكتشفوا بدايات الأشياء ونهاياتها . وبكلمة واحدة : هم يقومون بحماقات . . .

نيل : (متأملاً) : نعم ، حماقات ! أنا أقوم بحماقات كثيرة . . . . وهي أكثر رشداً مني . وهي ، أيضاً ، تحب الحياة ، ولكن حبها من نوع هادئ ساكن . ستكون حياتنا معاً رائعة ، هي وأنا . كلانا شجاع ، وحين نريد شيئاً نحققه من دون ريب . وهي تذكرني بِ . . . طفل وليد . (يضحك .) ستكون حياتنا معاً رائعة ، هي وأنا !

تيتيريف : الأحمق يقضي حياته بأسرها يتساءل ما الذي يجعل الزجاج شفافاً ، لكن الوغد يأخذ الزجاج ويصنع منه زجاجة . . .

(يتردد من جديــــد صوت الارغن اليدوي ، قريباً جداً هذه المرة ، يكاد أن يكون تحت النافذة .)

نيل : ذهنك لا تشغله غير الزجاجات !

تيتيريف : لا ، بل الحمقى . فالأحمق يتساءل أين تكون النار قبل أن تشتعــــل ، أين تذهب حين تنطفئ ، ولكن الوغد يجلس الى جانب النار يتدفأ . . .

نيل (مستغرقاً في التفكير) : اجل . . . يتدفأ . . .

تيتيريف : وفي الواقع فان كلاً منهما أحمق ، لكن حماقـــة أحدهما جميلة وبطولية ، بينا حماقة الآخر دنيئـــة حقيرة . وطريق كل منهمـــا تختلف عن طريق الآخر ، ولكن الطريقين تؤديان الى مكان واحد : القبر . ليس غير القبر ، يا صديقي . . . (يضحك . تهزّ تاتيانـــا رأسها بهدوء .)

نيل (الى تيتيريف) : ماذا أصابك ؟

تيتيريف : أنا أضحك . . . الحمقـــى الذين يبقون أحياء ينظرون الى أخيهم الميت ويسألون أنفسهم أين تراه رحل . أما الأوغاد فيرثون أملاك المرحوم ببساطـــة ويواصلون حياتهم الدافئة المريحــــة الشبعى . . . (يضحك .)

نيل : لقد سكرت حقاً . أفلا يحسن أن تذهب الى غرفتك ؟

تيتيريف : غرفتي ؟ ليس لي غرفة .

نيل : كفّ عن الحماقة . هل أوصلك اليها ؟

تيتيريف : لن تكون مساعدتي في مقدورك ، يا صديقي . فأنا

لا أنتسب الى المتهِمين ولا الى المتهَمين . أنا صنف نسيج وحدي . أنا الدليل المادي على الجريمة ! لقــد فسدت الحياة ! فهي رسن سيئ صغير جداً بالنسبة الى اللائقين من الناس . برجوازيوك الصغار تبروهــا واغتصبوها ، وغدت الآن ضيقة ضيقة . وهذا أنا ، الدليل المادي على حقيقة أن الرجل اللائق لا مكان لديه يعيش فيه ، وليس لديــه ما يعيش به أو مــن أجله . . .

نيل : تعال ، تعال !

تيتيريف : ارفع يديك عني ! أتخاف أن أتهاوى ؟ لقد هويت منذ زمن بعيد ، أيها الاحمق ! وكنت على وشك النضال للوقوف على قدميّ من جديد ، ولكنك جئتني ، ودون قصد منك صرعتني من جديد ! دون ان تلاحظ هذا . لا بأس ! سر ! تابع خطواتك . فأنا لا أشكو . . . أنت معافى وقوي ، وتملك الحق في الذهاب الى حيث تريد . أما أنا ، الساقط ، فأتبعك بنظرة تشجيع . تابع طريقك !

نيل : عمَّ تهذي ؟ يبدو لي هذيانــك باعثاً على الاهتمام ، ولكني لا أميز له رأساً من ذنب .

تيتيريف : لا تحاول ! ليس الحاجة في ذلك ! من المستحسن ألا تستوعب بعض الأمور . فاستيعابهــا لا قيمــة له . . . سر ! تابع سبيلك !

نيل : حسناً ، سأذهب . (يخرج الى باب المدخــل دون أن يلحظ تاتيانا التي تكورت في الزاوية .) .

تيتيريف : (ينحني له) : أطيب تمنياتي ، أيها اللص ! لقد سرقتني آخر أمل دون أن تدري . فليأخذه الشيطان ! (يتجه الى المنضدة حيث ترك زجاجته ، وفي هذه الأثناء يقع نظره على تاتيانا) ومن يمكن أن تكون هذه ؟

تاتيانا (في عذوبة) : أنا . . .

(يكف الأرغن اليدوي عن العزف فجأة)

تيتيريف : أنت ؟ هـــم . . . وقـــد خطر لي . . . خيّل اليّ . . .

تاتيانا : لا ، بل أنا . . .

تيتيريف : مفهوم . لكن . . . لماذا أنت ؟ ولماذا هنا ؟

تاتيانا (في عذوبة ، لكن في صوت واضح المقاطع) : لأنـــه ليس لدي مكان أعيش فيه ، وما أعيش به او مـــا أعيش من أجله . . . (يتجه تيتيريف اليها متمهـــلاً وفي صمت .) لست أدري لماذا أنا متعبـــة حتى هذه الدرجة ولماذا أشعر بالضجر حتى اليأس ! ان لي من العمر ثمانيـــة وعشرين عاماً فحسب . وأنـــا أشعر بالخجل – أشعر بخجل مخيف – لأنني ضعيفة وتافهة . أحسّ بالخواء في داخلي ، فكل شيء قد جفّ ، احترق في قلبي ، وصار مؤلماً جداً . لم ألحظ قط كيف حصل ذلك – كيف جاء هذا الخواء وسيطر عليّ . لكن ، فيم أقول لك هذا ؟

تيتيريف : لست افهم . . . فأنا جد سكران . . . لا أفهمك

على الاطلاق . . .

تاتيانا : لا أحد يحدثني كما أشتهي . بالأسلوب الذي أشتهي ان يحدثوني به . رجوت أن يفعل هو ذلك . وانتظرت زمناً طويلاً — دون أن أفوه بحرف واحد . وجاءت اثناء ذلك هذه المشاجرات كلها ، والتفاهات ، والحقارات والمضايقات — فخنقني ذلـك كله . سحقني تماماً . شيئاً بعد شيء . والآن لا أملك القدرة على الاستمرار بالعيش . حتى انه لا يوجد في يأسي شيء من قوة . أنا خائفة . الآن — على حين فجأة — أنا خائفة .

تيتريف (يهز رأسه ، يبتعد عنها ناحية الباب ، وحين يفتحه يلتفت اليها ويقول بلسان ثقيل) : اللعنـــة على هذا البيت ! لا شيء غير اللعنة . . .

(تنهض تاتيانا وتسير متماهلة الى غرفتهـــا . يبقى المسرح ساكناً خاوياً برهة من زمن . تدخل بوليا بخطوات سريعة غير مسموعة يتبعها نيل . يمضيان الى النافذة صامتين ، فيمسك لها نيل يدها ويخاطبها في صوت خافت)

نيل : اغفري لي ما حدث هذا النهار . كان ذلك مني حماقة وجنوناً . فأنا لا أعرف كيف أطبق فمي وأنا الراغب في الكلام !

بوليا (في صوت شبـــه مهموس) : الأمر سيان . . . الامر سيان حالياً ! ماذا يعنيني منهم ؟ الآمر سيان بالنسبة اليّ . . .

نيل : أعرف أنك تحبينني . أرى ذلك . بل لن أسألك . أنت مضحكة جداً ! قلت البارحة : سأخبرك في الغداة ، يجب أن أتروّى في الأمر ! أنت مضحكة جداً ! فيم ستتروّين ، ترى ؟ أنت تحبينني ، أليس كذلك ؟
بوليا : نعم ، نعم ! أحببتك منذ زمن طويل !

(تتسلل تاتيانا من باب غرفتها وتقف وراء الستار متنصتة .)

نيل : ستكون حياتنا رائعة معاً ، سترين ! أنت رفيق طيب جداً – لا تخشين الفقر – وتتغلبين على مصاعبك دائماً . . .
بوليا (في بساطة) :ممّ أخاف وأنا معك ؟ حتى لوحدي لست ضعيفة . أنا هادئة فقط .
نيل : وعنيدة . أنت قوية ، ليس من يقوى عليك . حسناً ، أنا سعيد . عرفت أن الأمر سيكون على هذا الغرار ، وأنا سعيد الى أبعد الحدود !
بوليا : عرفت ذلك ، أنا أيضاً .
نيل : حقاً ؟ عرفته حقاً ؟ جيداً . . . نعمة هي الحياة ، أليس كذلك ؟
بوليا : أجل ، يا صديقي العزيز . انها لكذلك ، يا رجلي الطيب .
نيل : ما أروع كلماتك . . . ما أجمل وقعها على الأذن !
بوليا : لا اطراءات من فضلك . لكن يجب أن نذهب . يجب ان نذهب . قد يأتي أحدهم . . .

نيل : فليأتوا جميعاً .

بوليا : لا ، لا ، يجب أن نذهب ! تعال ، قبلني مرة أخرى ! (يقبلها ، ثم تتخلص من بين ذراعيه وتركض مجتازة تاتيانا دون أن تلمحها . ولكن نيل ، الذي يتبعهـــا وابتسامة على شفتيه ، يشاهدهـــا فيتوقف مذهولاً متضايقاً . تشخص اليه في صمت بعينين ميتتين ، وعلى شفتيها بسمة صغيرة شوهاء)

نيل (في احتقار) : تتنصتين ؟ تختلسين النظر من ثقب الباب ؟ تباً لك ! (يخرج مسرعاً . تبقى تاتيانا واقفـــة كمن تحوّل حجراً . يترك نيل باب المدخل مفتوحاً ، فيتسرب منه صوت بيسيمينوف الخشن قائلاً : «ستيبانيدا ! من دلق هذا الفحم ؟ أعمياء أنت ؟ اجمعيه !»)

ستار

الفصل الثالث

(الغرفة ذاتها)

الوقت صباحاً . ستيبانيدا تمسح الغبار عن الاثاث .

أكولينا ايفانوفنا (تغسل ادوات الشاي) : ليس ثمة كثرة من الدهن في لحم هذا النهار ، فخذيه من لحم البارحة المشوي وضعيه في حساء الملفوف . هذا يخلع عليه مظهراً جيداً ويبدو دسماً ، أتسمعين ؟

ستيبانيدا : أسد . . .مع .

أكولينا إيفانوفنا : وعندما تقلين لحم العجل لا تسرفي في الزبدة . فقد ابتعت خمسة ارطال يوم الأربعاء ، والبارحة وجدت أنه ما تبقى إلا اقل من رطل . . .

ستيبانيدا : واذن فقد استهلكت . . .

أكولينا ايفانوفنا : اعلم انها استهلكت . فاني أرى كمية كبرى منها على شعرك . انه مترع مثل صفيحة القطران عند الفلاح . . .

ستيبانيدا : أبداً . فانا أدهن شعري بزيت قنديل الايقونات — ألا تشمين رائحته ؟

أكولينا إيفانوفنا : كفى ! (صمت) إلى أين ارسلتك تاتيانا هذا الصباح ؟

ستيبانيدا : إلى الصيدلية لشراء قليل من ماء النشادر .

قالت اشتري لي بما يعادل عشرين كوبيكاً . . .

أكولينا إيفانوفنا : أعتقد أن الصداع عاودهـــا . (تتنهـد) فهي تمرض دائماً . . .

ستيبانيدا : زوجوها . . . فسرعان ما تشفى إذن . . .

أكولينا إيفانوفنا : ليس من السهل أن تزوجي بناتـــك في هذه الأيام – خاصة المثقفات منهن . . .

ستيبانيدا : قدمي لها بائنة كبيرة فيأخذهـــا رجـــل ما ، وبثقافتها . . .

(يطل رأس بيوتر لحظة من باب غرفته ثم يختفي)

أكولينا إيفانوفنا : لن أرى ذلك اليوم السعيد . . . فتانيا لا ترغب في الزواج . . .

ستيبانيدا : أنها لراغبة . . . كيف لا ترغب وهي في مثل هذه السن ؟

أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : اوخ . . خ . . . من كان لدى تلك المرأة في الطابق الأعلى ليلة البارحة ؟

ستيبانيدا : المعلم . . . الأحمر الشعر .

أكولينا إيفانوفنا : هذا الذي هربت منه زوجته ؟

ستيبانيدا : هو بالذات ! ثم ذلك المحصِّل – النحيل الأصفر الوجه . . .

أكولينا إيفانوفنا : أعرفه ! إنه زوج أبنة أخي بيمينوف ، التاجر . وهو مريض بالسل .

ستيبانيدا : هكذا . . . يبدو عليه ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا : وهل كان مرتل الجوقة هنالك ؟

ستيبانيدا : أجل ، وكان بيوتر فاسيليييفيتش هنالك . ظلَّ مرتل الجوقة ينشد اغنياته . . . ويرفع عقيرته حتى الساعة الثانية صباحاً . كان يخور مثل الثور .

أكولينا إيفانوفنا : ومتى رجع بيتيا ؟

ستيبانيدا : كان النور قد انبلج حين فتحتُ له الباب .

أكولينا إيفانوفنا : اوخ ! اوخ !

بيوتر (داخلاً) : أسرعي ، يا ستيبانيدا ، أنهي ما تفعلين واخرجي . . .

ستيبانيدا : سأنهيه حالاً . . . انا نفسي راغبة ان أنهيه بأسرع وقت . . .

بيوتر : إذن أقلي من الثرثرة واكثري من العمـــل . . . (تبربر ستيبانيدا وتخرج .) أمـــاه ! كم مرة ابتهلت إليك ان تقللي من حديثـــك معها . لا يجدر بك أن تفعلي ذلك – تناقشين شؤونـــك الخاصـــة مـع الطاهية . . . وتسألينها عن . . . عن . . . مختلف الأمور ! لا يليق بك ان تفعلي ذلك ! فهل تفهمين هذا اخيراً ؟

أكولينا إيفانوفنا (متضايقة) : وهل يتعيَّن عليَّ ان أسألك مع من أستطيع أن أتحدث ؟ إذا كان ابني لا يريد أن يحدثنـــي ، أو يحدث والده أيضاً ، فلا بأس في أن أتحدث مع الطاهية . . .

بيوتر : لكن ، ألا ترين أنهـــا ليست لك نداً ؟ فأنت لن تسمعين من فمها غير الأقاويل !

أكولينا إيفانوفنا : وماذا تراني أسمع منك ؟ لقد مرّ على وجودك في البيت ستة أشهر حتى الآن ، ولم تمض منها ساعة واحدة مع أمك . لم تخبرها كلمة واحدة عن موسكو ، أو عن امورك فيها . . .

بيوتر : لكن ، اسمعي . . .

أكولينا إيفانوفنا : وإذا تحدثت ، فكلامك يؤلمني جداً . . . أنا لا أسمع منك غير «لا تفعلي هذا» و«لا تفعلي ذاك» . أنت تعلّم وتوبخ وتسخر من أمك المسكينة وكأنها تلميذة ! (يلوح بيوتر بيده في يأس ويخرج بسرعة الى باب المدخل . تصرخ أكولينا إيفانوفنا في إثره .) أرأيت ؟ كم كان حديثك قصيراً ! (تنشج ، وتمسح عينيها بطرف مئزرها .)

بيرتشيخين (يدخل الغرفة مرتدياً معطفاً قصيراً ممزقاً شُدَّ من وسطه بقطعة من حبل ، تبرز من ثقوبه قطع من القطن القذر . ينتعل صندلاً من لحاء الشجر ، ويضع على رأسه قبعة من الفراء .) : ما الذي يبكيك ؟ أقال بيتروخا شيئاً يؤلمك ؟ لقد مرق بجواري مثل طائر الخطّاف . بل لم يقل لي كيف حالك ! هل ابنتي بوليا هنا ؟

أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : هي في المطبخ تقطع الملفوف . . .

بيرتشيخين : ما أروع النظام وسط الطيور ! ما أن تنبت أرياش صغارها حتى تطير حيثما تشاء من دون أي وعظ من أبويها . ألم تبق لي جرعة من الشاي ؟

أكولينا إيفانوفنا : وأنت تسلك سلوك الطيور في حياتك ، أليس كذلك ؟

بيرتشيغين : بالضبط ! وما أروع ذلك ! أنا لا أملك شيئاً ولا اقف في طريق أحد . كما لو كنت أعيش في الهواء بدلاً من أن أمشي على الأرض .

أكولينا إيفانوفنا (في احتقار) : ولذلك لا يكنُ لك الناس أي احترام . خذ شايك . . . إشرب . . . ولكنه بارد ، وخفيف بعض الشيء . . .

بيرتشيغين (يحمل القدح صوب الضوء) : خفيف . ولكننا نقدم شكرنا لكل شيء صغير ! لو أنه كان ثقيلاً فقد يستنفد قواي . أما بخصوص احترام الناس – فانا لا أرجوهم ان يحترموني . . . أنا لا أحترم احداً بدوري . . .

أكولينا إيفانوفنا : ومن ذا يحتاج إلى احترامك أنت ؟ لا احد . . .

بيرتشيغين : عظيم ! لقد رأيت أن الناس ، وهم يحصلون على خبزهم اليومي على الأرض ، يتخاطفونه من أفواه بعضهم بعضاً . أما طعامي أنا فأحصل عليه من فوق ، من الهواء ، من الطيور السماوية ، فان شغلي لنقي !

أكولينا إيفانوفنا : حسناً ، هل سيتم الزفاف قريباً ؟

بيرتشيغين : زفاف من ؟ زفافي ؟ الوقوقة التي يمكن أن تكون شريك حياتي لا تطير إلى غاباتنا بعد ، تلك المحتالة ! يبدو لي انها تحضر بعد فوات الأوان : وسوف أموت قبل أن تصل إلى هنا . . .

اكولينا ايفانوفنا : كفى هراء واخبرني صراحة : **متى تزفها ؟**
بيرتشيخين : أزفُ من ؟
أكولينا إيفانوفنا : ابنتك ! **وكأنك لا تعلم !**
بيرتشيخين : ابنتي ؟ حينما يطيب لها ، **إذا كان لديها إنسان** أزفها اليه . . .
أكولينا إيفانوفنا : أكانا يخططان لذلك من طويل **زمن ؟**
بيرتشيخين : ماذا ؟ من ؟
أكولينا إيفانوفنا : دعك من المراوغة ! **لا ريبة أنها** أخبرتك . . .
بيرتشيخين : تخبرني بماذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : بالزفاف . . .
بيرتشيخين : **زفاف مَنْ ؟**
أكولينا إيفانوفنا : تباً لك ! رجل عجوز **مثلك يجب أن يخجل** من تمثيل دور الأبله !
بيرتشيخين : مهلك ! **لا تغضبي** . . . ماذا يدور **في خلدك ؟**
أكولينا إيفانوفنا : ليست لي رغبة في الحديث **معك** . . .
بيرتشيخين : لكنك تتحدثين ، وتفعلين ذلك منذ فترة طويلة دون أن توضحي الأمور . . .
أكولينا إيفانوفنا (في جفوة وحسد) : متى تزف بيلاغيا إلى نيل ؟
بيرتشيخين (يثب مشدوهاً) : ماذا ؟ بوليا إلى نيل ؟ **أصحيح** هذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : أتعني حقاً أنها لم تخبرك ؟ شباب شطار ! حتى والدها !

بيرتشيخين (جذلان) : هل أنت جادة ؟ لا ريب أنك تمزحين ؟ نيل ؟ لله در الأمور ! أهذا صحيـــح فعلاً ؟ يــا للنسناسين ! يا لبوليا من فتاة ! لكن ، أواثقة أنــت أنك لا تخدعينني ؟ عظيم ! وكنت أنا أقول في نفســي إن نيل ينوي الزواج من تاتيانا . وربي ! كل الأمور كانت تدل على ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا (في غضب) : وكأننا نزوج تاتيانا من نيل ! نحن لا نحتاج الى هذا المشاكس . . .

بيرتشيخين : نيل ؟ ماذا تقولين ! لو كان لدي عشر بنـــات لأغمضت عيني وأعطيتهن جميعاً لنيل ! نيل ؟ وهو . . . وهو قادر وحده على أن يطعم مائة فم ! نيل ؟ هُوْ ، هُوْ !

أكولينا إيفانوفنا (ساخرة) : حين أنظر اليـــك اقــول في نفسي : يا لهذا الحمو الذي سيحصل نيل عليه ! انــه لحمو لطيف جداً !

بيرتشيخين : حمو ! هُوْ ، هُوْ ! هذا الحمو لا يريد أن يكون عالة عليه أو على أي كان ! ان ساقيَّ ترقصان مــن ذاتهما ! أنا الآونة حرٌّ مثل عصفور ! سوف أحيا الآن على هواي ! ولن تقع عين أحد عليَّ من الآن فصاعداً ! وسأطيرنَّ إلى الغابات — وداعاً ، أيها الناس جميعاً ! يا لبوليا من فتاة ! حدث ان كنت أفكر أحياناً : ماذا سيكون مصير ابنتي ؟ وكان ذلك يؤلمني ، يؤلمنــي حقاً . لقد أنجبتها الى هذا العالم ، وهذا كل ما استطعت أن أمنحها إياه ! أما الآن ؟ الآن أذهب حيثما يروقني !

أذهب إلى آخر الأرض أبحث عن طائر النار !

أكولينا إيفانوفنا : إلى حيث تذهب ؟ الناس لا يديرون حين يعترض الحظ سبيلهم . . .

بيرتشيغين : الحظ ؟ أفضل حظ يمكن أن أحصل عليه هو أن أذهب حيثما يروقني . . . ولسوف تكون بوليا سعيدة . لا ريب أنها ستكون سعيدة ! مع نيل ؟ يا للفتى القوي المرح البسيط ! عقلي يثب من الغبطة وقلبي تغني فيه القبّرات ! هل عرفت الدنيا عجوزاً محظوظاً مثلي ؟ (يضرب بالقدم على الارض كأنه يرقص) ترا – لا – لا ! ترا – لا – لا ! لقد حصلت بوليا على نيل ، هورّاه !

بيسيمينوف (يدخل الغرفة . لا يبرح مرتدياً معطفه وحاملاً قبعته في يده .) سكرت مرة أخرى !

بيرتشيغين : سكرت من الفرحة ! أسمعت عن بيلاغيا ؟ (يضحك جذلان .) لسوف تتزوج من نيل ! ها ؟ رائع ، أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (في قسوة وبرودة) : هذا لا يعنينا . . . سنأخذ ما يخصنا ، على أية حال . . .

بيرتشيغين : وكنت أحسب دائماً أن نيل راغب في الزواج من تاتيانا . . .

بيسيمينوف : م . . . ا ذ . . ا ؟

بيرتشيغين : وحق الله ! كان واضحاً أن تاتيانا كانت تسعى إلى ذلك – كانت تنظر اليه بالعين الواحدة مرة . . وبالعين الثانية مرة أخرى – أنت تعرف كيف

يفعلن ذلك على العموم . . وما شابه ذلك . . ما ؟ ثم على حين فجأة . . .

بيسيمينوف (في هدوء وفي حقد) : إليك ما سأعالنك بــه ، أيها الرجل الطيب : قد تكون أحمق ، ولكن الوقت قد حان لتفهم أنه من المخزي أن تقول مثل هذه الأشياء عن فتاة . هذا أولاً . (يرفع صوته شيئاً فشيئاً اثناء كلامه .) لا يهمني أبداً إلى من تتطلع ابنتك ، أو كيف تتطلع إليه ، او مَنْ يتطلع اليها وكيف ، أو أي صنف من الفتيات هي ، ولكننـــي أقول شيئاً واحداً : إذا تزوجت نيل فلا ردّها الله ، لأنه لا فائدة من أي منهما ، ومن الآن فصاعداً سأبصق عليهما معاً ، رغـم أن كلاً منهما غارق حتى ركبتيه في الدين لي . وهذا ثانياً . واليك آخر شيء : قد تجمعنا ، أنا وأنت ، قرابة بعيدة ، لكن أنظر إلى نفسك – فمن أنت ؟ متشرّد ، هذه هي حالك ! من أذن لك أن تدخل الى غرفة نظيفة وأنت في هذه الحال ؟ في هذه الخـرق المهلهلـــــة ، والصندل الفلاحي ؟

بيرتشيخين : ماذا دهاك ، يـــا فاسيلـــي فاسيلييفيتش ؟ ماذا تقول يا أخ ؟ أهي المرة الأولى التي أجيء فيها إلى هنا بهذه الحال ؟

بيسيمينوف : أنا لم أحص عدد هذه المرات ، وليس في نيتي أن أفعل ذلك . ولكني أعرف شيئاً واحداً : أنـت لا تحترم رب هذا البيت إذا جئت إلى هنا على هذا الغرار . مرة أخرى أقول مَنْ أنت ؟ شحاذ ، لا شيء ، خرقـــة

مهلهلة . . . أسمعتَ ما اقول ؟ هذا ثالثاً : واخيراً : اخرج من هنا !

بيرتشيخين (مذهولاً) : فاسيلـــــي فاسيلييفيتش ! ماذا فعلتُ ؟ ماذا . . .

بيسيمينوف : أخرج من هنا ! ولا تحاول ان تلفّ . . .

بيرتشيخين : أفق لنفسك ! فأنا لم أؤذ . . .

بيسيمينوف : حقاً ؟ ! أخرج قبل أن . . .

بيرتشيخين (في أسف ولوم ، وهو يخرج) : أوه ، أيهـــا العجوز ! إني اشفق عليك حقاً ! وداعاً !

(يشد بيسيمينوف قامته ويذرع أرض الغرفة صامتاً متجهم الوجه في خطوات قاسية ثقيلة . تراقبه أكولينا إيفانوفنـــا خلسة وهي تغسل آنية الشاي . ترتعش يداها وتهمهم بينها وبين نفسها)

بيسيمينوف : بماذا تهمسين ؟ رقية ؟

أكولينا إيفانوفنا : انني أصلي ، أيها الأب ، أصلي . . .

بيسيمينوف : إسمعي . . . يبدو أني لن أصبح رئيساً * هذه المرة ! يبدو ذلك واضحاً ، عليهم اللعنة !

أكولينا إيفانوفنا : ما هذا ؟ يا إلهي ، كيف يكون ذلـــك ؟ لماذا ؟ لعلك . . .

بيسيمينوف : لعليّ ماذا ؟ ان فيدكا دوسيكين ، كبير جمعية

---

* المقصود هنا رئيس اتحاد الحرفيين . **الناشر** .

صانعي الأقفال ، يسعى إلى أن يكون الرئيس . ذلك الولد المغرور ! ذلك الجرو !

أكولينا إيفانوفنا : قد لا ينتخبونه . لا تبتئس بعد . . .

بيسيمينوف : لسوف ينتخبونه . واضح أنهم سيفعلون . حين وصلت إلى هنالك كان جالساً في مجلس الادارة يتشدق ويقول : الأيام صعبة . ويقول : جميعنا ينبغي أن نتكاتف . ويقول : كل شيء يجب أن نقوم به نحن جميعاً ، التعاونيات ، هذا ما يجب أن نفعل . ويقول : وهذه المصانع التي تسيطر على السوق . نحن الحرفيين لا يمكن أن نعمل فرادى . ولكنني قلت : اليهود هم سبب البلاء ! اليهود هم الذين يجب أن نحدّ من نشاطهم ! يجب أن نقدم شكوى ضدهم إلى المحافظ . . . نخبره فيها كيف يضيقون الخناق علينا نحن الروس ، ونطلب إليه أن يعمل على طردهم . (تفتح تاتيانا الباب في هدوء وتترنح في طريقها إلى غرفتها .) فابتسم دوسيكين ابتسامته تلك ، وقال : وماذا نفعل بأولئك الروس الذين هم أسوأ من اليهود ؟ واتضح لي من كلماته الحذرة المختلفة أنه كان يغمز من قناتي . تظاهرت أني لم أفهم ، لكني تبينت قصده جيداً ، ابن الحرام ! أصغيت قليلاً ، ثم تنحيت جانباً . وهمست في نفسي : رويدك فحسب ! سأردُّ لك الصاع صاعين ! وعندها جاءني ميخائيل كريوكوف صانع الأفران ، وقال : يبدو أن دوسيكين سوف يصير الرئيس ، وصرف عني نظرته خجلان . كنت على

وشك ان اقول له : ماذا تفعل يا يهوذا الاحول !

يلينا (تدخل الغرفـــة) : صباحك سعيد ، يا فاسيلـــي فاسيليييفيتش ! صباحك سعيد ، يا أكولينا إيفانوفنا !

بيسيمينوف (في برودة) : آه ، هذه أنت ؟ أدخلي . مـــا وراءك ؟

يلينا : جئت أدفع أجرة غرفتي .

بيسيمينوف (في مزيد من التهذيب) : حسن جداً . كم معـك هنا ؟ خمسة وعشرون روبلاً ؟ أنت مدينة لي بَعْدُ بأربعين كوبيكاً ثمن لوحين مـن الزجـاج في نافـــذة المدخل ، و . . . لنقل عشرين كوبيكاً ثمن المفصلـة التي كسرتها طاهيتك في سقيفة الاحطاب .

يلينا (مطلقة ضحكة قصيرة) : يا لك من رجـــل دقيـق ! تفضل . . . لكنني سأعطيك ورقة ثلاثـــة روبلات . فلست أحمل عملة صغيرة .

أكولينا إيفانوفنا : لقد أخذت مني كيساً من الفحم – أعني طاهيتك هي التي أخذته .

بيسيمينوف : وكم ثمنه ؟

أكولينا ايفانوفنا : الفحم ؟ خمسة وثلاثون كوبيكاً للكيس .

بيسيمينوف : وهذا يعني ان المجموع هو خمسة وتسعـون كوبيكاً . الباقي روبلان وخمسة كوبيكات – تفضلي ! أما بخصوص الدقة فقد أصبت ، يا سيدتي العزيزة . الدقة هي التي تجعل العالم يدور . فالشمس نفسهـا تشرق وتغيب بدقة مثلما هو مقدّر لها منذ بدايـــة العالم ،وما دامت الدقة هي القانون في السماء ، فمن

الواجب بكل تأكيد أن تكون القانون على الأرض . خذي نفسك مثلاً . . . فأنت دائماً تسددين الأجرة بانتظام ، وفي الموعد المحدد . . .

يلينا : أنا لا أحب أن أكون مدينة .

بيسيمينوف : شيء جدير بالثناء ! ولهذا يثق بك كـل الناس .

يلينا : حسناً ، وداعاً ! يجب أن أنصرف .

بيسيمينوف : احتراماتي . (ينظر في اثرها ثم يقول) ما أجملها ، هذه الشيطانة ! ومع ذلك يطيب لي أن أقذف بها خارجاً !

أكولينا إيفانوفنا : تفعل حسناً اذن ، أيها الأب .

بيسيمينوف : حسناً ، ومن ناحية أخرى ، فطالما هي مقيمة هنا تتاح لنا مراقبتها . أما إذا انتقلت ، فلا بدّ أن بيوتر سيتردد عليها ، ويسهل عليها عندئذ أن توقعه في حبائلها بعيداً عن أعيننا . ويجب ألا يغيب عن بالك أنها تدفع الأجرة في مواعيدها ، وهي تسدد بكل طيبة خاطر مقابل كل ما تُتلف في غرفتها . هكذا ! اما بيوتر . . . فهذا شيء خطر وخطر جداً . . .

أكولينا إيفانوفنا : لعله لا يفكر في الزواج منها . لعله يريد فقط . . . أنت تعرف .

بيسيمينوف : لو أتيح لنا التيقّن من ذلك ما شغل بالنا شيء وما بقي هنالك ما يثير قلقنا . يحسن أن نبقيه هنا في البيت بدلاً من التردد على بيوت الدعارة . (تدفّ من غرفة تاتيانا أنّة خشنة)

أكولينا إيفانوفنا (في صوت خافت) : ماذا ؟

بيسيمينوف (في صوت خافت مثلها) : ما هذا ؟

أكولينا إيفانوفنا (في همس وهي تتلفت حواليها في قلق كمن يصغي الى شيء ما) : هنالك وراء باب المدخل . . . أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (في صوت عال) : لا بدّ أنها القطة .

أكولينا إيفانوفنا (مترددة) : هنالك شيء أردت أن أفضي به إليك ، أيها الأب . . .

بيسيمينوف : حسناً ، هاتي قوليه .

أكولينا إيفانوفنا : ألا تظن أنك كنت قاسياً نوعاً ما على بيرتشيخين هذا النهار ؟ فهو إنسان طيب .

بيسيمينوف : إذا كان طيباً فلن يتمكن منه الغضب ، وإذا غضب فلن نفقد شيئاً كثيراً . معرفتنا به لا تشرفنا كثيراً (يتردد الأنين مرة أخرى – أعلى منه قبلاً .) من هذا ؟ أيتها الأم . . .

أكولينا إيفانوفنا (مرتبكة) : لست أدري . . . حقاً . . . ماذا يمكن أن يكون . . .

بيسيمينوف (يندفع ناحية غرفة بيوتر) : أثمة شيء هنا ؟ بيوتر !

أكولينا إيفانوفنا (تندفع وراءه مذعورة) : بيتيا ! بيتيا . . . بيتيا . . .

تاتيانا (تصرخ في صوت أجش) : أنقذوني ! أماه ! أنقذيني ! أنقذيني ! (يندفع بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا من غرفة بيوتر إلى غرفة تاتيانا صامتين ، ويترددان عند

الباب لحظة كأنهما لا يجرؤان ان يدخلا ، ثم يدخلان من الباب في وقت واحد . تقابلهما صرخات تاتيانا .)
أو – و – وه ، لكم يحرقني ! كم يؤلمني ! اسقوني ! اسقوني ! أنقذوني !

أكولينا إيفانوفنا (تندفع خارج الغرفة تفتح باب المدخل وتصرخ) : يا ربي ! أيها الطيبون ! بيتيا ! (يدف من غرفة تاتيانا صوت بيسيمينوف الاجش قائلاً : «ماذا أصابك ، يا ابنتي ؟ ماذا بك ؟ ماذا أصابك ، يا ابنتي ؟»)

تاتيانا : ماء ، فأنا أموت . كل ما في داخلي يحترق . آه ،يا ربي !

أكولينا إيفانوفنا : أسرعوا ! إلينا ! يا ربي !

بيسيمينوف (من داخل الغرفة) : اسرعي ، استدعي الطبيب .

بيوتر (يدخل راكضاً) : ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟

أكولينا إيفانوفنا (تمسك به من ردن سترته وتلهث) : تانيا . . . تموت !

بيوتر (يتخلص من قبضتها) : اتركيني ! اتركيني . . .

تيتيريف (يرتدي معطفه وهو يدخل) : ماذا هنالك ، حريق ؟

بيسيمينوف : الطبيب ! أسرع وراء الطبيب ، يا بيوتر ! اعرض عليه خمسة وعشرين روبلاً !

بيوتر (يندفع خارجاً من غرفة تاتيانا مخاطباً تيتيريف) : الطبيب ! أسرع باستدعاء الطبيب ! قل له . . . تسممت . امرأة صبية . النشادر . عجل ! عجل .

(يركض تيتيريف إلى باب المدخل)

ستيبانيدا (تدخل مهرولة) : يا إلهي ! يا إلهي !
تاتيانا : بيتيا ! إني أحترق ! إنـي أموت ! ولا أريـد أن أموت ! أريد ان اعيش ! اسقيني !
بيوتر : كم شربت ؟ ومتى فعلت ذلك ؟ قولي !
بيسيمينوف : ابنتي ! ابنتي الصغيرة !
أكولينا إيفانوفنا : أهلكت نفسك ، يا حمامتي الصغيرة !
بيوتر : إذهبي ، يا أماه . خذيها من هنا ، يا ستيبانيدا . إذهبي ، أقول لك ! (تركض يلينا إلى غرفة تاتيانا .) أخرجي أمي . . .

(تدخل امرأة عجوز وتقف عند باب المدخل تسترق النظر إلى الغرفة وتهمهم لنفسها)

يلينا (تتأبط ذراع أكولينا إيفانوفنا وتخرج معها من غرفـة تاتيانا ، وتغمغـم) : لا بأس ، لا تجزعـي ، الأمـر بسيط . . .
أكولينا إيفانوفنا : كنزي ! ابنتي الحبيبة ! ماذا فعلت لك ؟ كيف أراني أسأت اليك ؟
يلينا : هذا الأمر سيزول . وسيكون كل شيء على ما يرام عندما يأتي الطبيب . آه ! يا للمصيبة !
المرأة العجوز (تأبطت ذراع أكولينا ايفانوفنا الأخرى) : لا تحزني يا سيدة ! هنالك مصائب أفجع ! آه يـا

مسكينة ! سائق التاجر سيتانوف مثلاً – رفسه الحصان في خاصرته . . .

أكولينا إيفانوفنا : يا حبيبتي ، يا غاليتي . ماذا أفعل الآن ؟ ابنتي الوحيدة ! (يخرجونها)

(تختلط صيحات تاتيانا بصوت والدها الأجش وكلمات بيوتر العصبية الحادة . ينقلب كرسي . وتسمع قعقعة صحون ، وصرير نوابض سرير ، ووسادة تسقط على الأرض بلطف . تركض ستيبانيدا عدة مرات خارجة من الغرفة ، شعرها مبعثر وفمها مفتوح وعيناها ناتئتان ، لتختطف قدحاً أو صحناً من الخوان ، تكسر في كل مرة شيئاً ما وتختفي من جديد . تشاهد في باب المدخل وجوه مشدوهة ، لكن أحداً لا يجرؤ على الدخول . ينطلق عبر الباب فتى ، مساعد دهان ، ويختلس النظر إلى غرفة تاتيانا ويعود أدراجه راكضاً ، معلناً في همس عال : «إنها تموت !» . الأرغن اليدوي في الشارع يعزف لحناً ، سرعان ما ينقطع صوته . تنساب من باب المدخل همهمة خفيضة : «هل قتلها ؟» . «أبوها ؟» . «لقد حذّرها . . . انتبهي ، أيتها الفتاة» . «على راسها» . «أتعرف بماذا ؟» . «هذا كذب – لقد ذبحت نفسها» . وصوت امرأة يستفسر : «هل هي متزوجة ؟» . أحدهم يطقطق بشفتيه في شفقة)

المرأة العجوز (تخرج من غرفة الوالدين ، تختطف اثناء عبورها كعكة محلاة عن المنضدة وتخفيها تحت شالها ، ثم تقترب من باب المدخل) : هس ! إنها تموت !

صوت رجل : ما اسمها ؟
المرأة العجوز : ليزا .
صوت امرأة : ما الذي جعلها تفعل ذلك ؟
المرأة العجوز : منذ يوم انتقال العذراء قال لها : «ليزا» ، وقال . . .

(حركة بين الحشد . يدخل الطبيب وتيتيريف . يتجه الطبيب مباشرة الى غرفة تاتيانا دون أن يخلع قبعته أو معطفه . ينظر تيتيريف عبر باب الغرفة ويبتعد عنه عابساً . تتردد من غرفة المريضة أنات وأصوات وأصداء أناس يتكلمون . وينطلق من غرفة بيسيمينوف عويل أكولينا إيفانوفنا وصراخها : «دعيني ! دعيني أذهب إليها !» . يرتفع من بين الأصداء الخفيضة وراء باب المدخل أصوات متميزة تقول : «رجل رزين . . . إنه مرتل الجوقة ! غير صحيح ! أجل هو نفسه . من جوقة كنيسة يوحنا المعمدان»)

تيتيريف (يتجه ناحية الباب) : ماذا تفعلون هنا ؟ انصرفوا ، جميعكم ! هيا !
المرأة العجوز (عند الباب) : تحركوا ، أيها الطيبون ، تحركوا . لا شأن لكم بهذا .
تيتيريف : من أنت ؟ ماذا تريدين ؟
المرأة العجوز : أنا يا محترم بائعة خضار – بصل أخضر ، وخيار . . .
تيتيريف : وبعد ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

المرأة العجوز : كنت في سبيلي إلى بيت سيمياجينـــا . . .
إنها اشبينة ولدي . . .
تيتيريف : وبعد ؟ أقول ماذا تفعلين هنا ؟
المرأة العجوز : كنت مارة وسمعت ضجة ، فحسبت أن النار اشتعلت . . .
تيتيريف : وماذا ؟
المرأة العجوز : ودخلت . دخلت ألقي نظرة على المشكلة .
تيتيريف : اخرجي من هنا . انصرفوا جميعاً ! اخرجوا من هنا !
ستيبانيدا (تخرج من الغرفة راكضة تخاطب تيتيريف) : جئنا بدلو من الماء . . . عجل ! (يطلُّ من الباب شيخ أشيب اللحية معصوب الوجه بمنديـــل ، ويغمز لتيتيريف قائلاً : «يا سيدى ! لقد سرقتْ كعكة من منضدتكم» . يجتاز تيتيريف باب المدخل وهو يدفـع الناس الى الشارع . صخب وجلبــة . صبي يصيح : «آي !» . أحدهم يضحك ، وآخر يقول موبخـاً : «كفّ عـن دفعي !») .
تيتيريف (دون ان يظهر) : الى الشيطان ! هيا !
بيوتر (يمدّ رأسه من الباب) : هدوءاً ! (يلتفت إلى الغرفة .) إذهب ، يا أبتاه . فأمي تحتاج إليك . إذهب ! (ينادي ناحية باب المدخل .) لا تدخلوا أحداً !

(يخرج بيسيمينوف من غرفة تاتيانا مترنحاً . حين يقترب مـن المنضدة يتهالك على مقعد ويجلس يحدّق ببلادة في الفضـاء

أمامه عدة لحظات ، ثم ينهض ويدلف إلى غرفته حيث يسمع منها صوتا أكولينا إيفانوفنا ويلينا .)

أكولينا إيفانوفنا : وكأنني لم أكن أحبها ! وكأنني لم أكـن أرعاها جيداً !

يلينا :هوّني عليك . . . يا عزيزتي . . .

أكولينا إيفانوفنا : أيها الأب ! يا غا . . .

(لم تسمع نهاية الجملة نتيجة إغلاق الباب . الغرفة الكبيرة خاوية الآن . من اليسار تتسلل أصوات مكتومة من غرفة بيسيمينوف ، ومن اليمين أنين تاتيانـــا ، وحديث خافت ، ولغط قصير يحدثه أولئك الذين يلازمونها . يحضر تيتيريف دلواً من الماء ، ويضعه عند باب غرفة تاتيانا ، وينقر على الباب بأصبعه في لطف . تفتح ستيبانيدا الباب وتأخذ الدلو ، ثم تخرج إلى الغرفة الكبيرة وهي تمسح العرق عن وجهها .)

تيتيريف : ماذا ؟

ستيبانيدا : لا بأس .

تيتيريف : أهذا ما يقوله الطبيب ؟

ستيبانيدا : اجل . لكن . . . (تلوح بيدها يائسة .) لقد أمر بمنع أبيها وأمها من الدخول .

تيتيريف : أهي أحسن حالاً ؟

ستيبانيدا : من يدري ؟ لقد كفت عن الأنين . وجهها أخضر اللون ، وعيناها كبيرتان بهذا القدر ! وهي ترقد ساكنة

كالأموات . (تهمس موبخة .) قلت لهم ذلك . كم مرة قلت لهم أن يزوجوها ! قلت أن يزوجوها ! لكنهم لم يعيروني أذناً صاغية ، وإليك ما أصابهم ! لكأن الفتاة يمكن ان تبقى في حالة سليمة حتى هذه السن من دون زوج ! ثم هي لا تؤمن بالله . لا تصلي ولا ترسم اشارة الصليب . وإليك ما حدث !

تيتريف : أمسكي لسانك ، أيها الغراب !

يلينا (داخلة) : كيف حالها ؟

تيتريف : لست أدري . يبدو أن الطبيب يعتقد أنها ليست في خطر .

يلينا : يا للضربة التي نزلت بأبيها وامها ! لكم أرثي لهما !

(يهز تيتيريف كتفيه في صمت)

ستيبانيدا (تهرول خارجة من الغرفة) : يا إلهي ! لقد نسيت الفرن !

يلينا : ما الذي حدا بها إلى ذلك ؟ ماذا جرى ؟ يا لتانيا المسكينة ! يبدو انها تشعر بآلام كبيرة . (تقطب وجهها وتهز كتفيها .) إنه يؤلم جداً ؟ جداً جداً ؟

تيتريف : لست أدري . ماء النشادر شيء لم أشربه قط .

يلينا : كيف تجرؤ على المزاح في مثل هذه الحال ؟

تيتريف : أنا لا أمزح .

يلينا (تقترب من غرفة بيوتر وتختلس النظر من الباب) : هل بيـ . . بيوتر فاسيلييفيتش . . . في غرفتها بعد ؟

تيتريف : لا بدّ أنه في غرفتها . إن لم يخرج منها .
يلينا (متفكرة) : أتخيّل كيف كان ذلك يؤثر فيه ! (صمت .) فكلما أنا . . . إذا صدف أن شاهدت شيئاً من هذا القبيل فأنا . . أكره البلايا !
تيتريف (مبتسماً:) عاطفة محمودة !
يلينا : أتفهم ما قصدت إليه ؟ احسُ أني اريد أن اتناولها وأسحقها تحت قدمي . . . أسحقها حتى الموت !
تيتريف : ماذا ؟ البلايا ؟
يلينا : أجل ! أنا لا أخافها . أنا أكرهها ! هذا ما أقصده ! يعجبني ان أعيش حياة مرحة متنوعة ، أن يكون حولي كثير من الناس . فأنا أعرف كيف أجعل الحياة سارة سهلة بالنسبة إليّ والى من يحيطون بي .
تيتريف : أمر محمود كثيراً !
يلينا : وثمة أمر آخر – سأعترف لك به : فأنا قاسية القلب إلى حد مخيف ! ولا أحب الناس الذين تخيم عليهم التعاسة ، وهنالك دائماً أناس تعساء ، مهما بذلت في سبيلهم ! لو وضعت الشمس على رؤوسهم بدلاً من قبعة – وأي شيء أروع من هذا ؟ – فيظلون يزفرون ويشتكون : «آه ، يا لتعاستي ! يا لوحدتي ! ليس من يحبني ! الحياة مملة معتمة ! آه ! أوه ! أوو !» . وحيثما التقيت مثل هذا المرء فأنا أحس برغبة شريرة في أن أجعله أكثر تعاسة منه قبلاً . . .
تيتريف : يا سيدتي العزيزة ! لسوف أعترف لك أنا الآخر : لا أطيق أن أسمع النساء يتفلسفن ، أما عندما

أسمعك تتفلسفين أنت فتراودني رغبة في تقبيل يديك.

يلينا (في دلال ومكر) : يدي فقط ؟ وحينما أتفلسف فقط ؟ (مستدركة .) لكن ، يا إلهي ! ماذا تراني أفعـــل ؟ أمزح . . . وألهـــو ، بينمــــا هناك . . . إنسان يتعذب . . .

تيتيريف (يومئ ناحية غرفة بيسيمينوف) : وهنالك أيضـاً من يتعذب . وأنت أينما تشيرين بإصبعك تجدين من يتعذب ! هذه هي عادته . . .

يلينا : ولكنه يتعذب فعلاً . . .

تيتيريف : دون ريب .

يلينا : وعلينا أن نرثي له اذن .

تيتيريف : ليس دائماً . بل ربما أبداً . لعل من الأفضل أن نساعده من أن نرثي له .

يلينا : أنت لا تستطيع مساعدة الجميع . ان لم تشفق عليهم أنت لا تستطيع مساعدتهم . . .

تيتيريف : يا سيدتي العزيزة ! إليك كيف أنظر إلى الأمر : العذاب تولده الرغبة ، وهنالك نوعان من الرغبـة في الانسان – رغبة جديرة بالاحترام ورغبـة غير جديرة به . والمرء يجب ان يمدّ بالمساعدة لإشباع الرغبات التي تجعلــه سوياً وقوياً والتي ، حين تسمو به ، ترفعه فوق مستوى الحيوان . . .

يلينا (دون أن تصغي اليه) : قد يكون ذلــك . قـــد يكون . . . لكن ، ماذا يحدث هناك ؟ لعلها نامـــت ؟ يا للهدوء ! إنهم يتهامسون . والعجوزان أيضاً ذهبا . . .

إنهما يختبئان في ركنهمـــا . يا للغرابة ! على حين فجأة . . . ضجيج ، وصخب ، وصيحات ، وأنين ! ومن بعد ، على حين فجأة — هدوء شامل ، وليس من يأتي حركة .

تيتيريف : هكذا هي الحياة ! الناس يصيحون إلى أن يهدهم التعب ، فيخلدون إلى الراحة بعدئذ . وحين يستريحون يباشرون الصياح من جديد . هنا ، في هذا البيت ، يخيم الصمت على كل شيء بسرعـــة كبيرة — صيحات الألم وضحكات المرح على حدّ سواء . وكل هزة هنا تشبه ضربة بالعصـــا تنهال على بركـــة من الطين . والصيحة الأخيرة هي دائماً صيحة الحقارة ، ساحرة هذا البيت . هي التي تملك الكلمـــة الأخيرة هنا دائماً ، سواء كانت كلمة الظفر أم كلمة الضغينة . . .

يلينا (متفكرة) : كانت الحياة أمتع يوم كنت في السجن حيث كنت اعيش هنالك ! كان زوجي مقامراً . وكان يسكر أيضاً ، وما أكثر ما يخرج إلى الصيد . وكانت بلدتنا صغيرة نائية وكان سكانهـــا من . . . من التافهين . وكنت أملك كثيراً من أوقات الفراغ ، ولكنني لا أذهب إلى أي مكان ولا أجتمع بأي كان غير المساجين . وكانوا يحبونني . هم ظرفاء فعلاً حين تتعرف بهم عن كثب ! ظرفاء وبسطاء إلى حدّ بعيد ، صدقني ! حين كنت أنظر اليهم أحياناً ما كنت أستطيع أن أصدق أن هذا لص وان ذاك قاتـــل وان ثالثاً قد ارتكب شيئاً ما . قلت مرة لواحد من القتلة : «صحيح أنك قتلت شخصاً ؟»

فقال : «أجل ، يا سيدتي يلينا نيقولاييفنا ، لقد قتلت . ما فعلت' فعلت' !» وتراءى لي أنه – أن ذلك القاتل – حمل وزر غيره على عاتقه ، وأنه كان مجرد حجر ألقى به سواه . هذا ما فكرت ! أشتريت لهم كتباً ، وحرصت على أن يكون هنالك ورق للعب والدومينو في كل زنزانة . وكنت أعطيهم تبغاً وقليلاً من الخمرة . وحين كانوا يخرجون للتنفس فهم يلعبون بالكرة والقضبان الخشبية . كانوا أشبه بالأطفال والله ! وحين كنت أقرأ عليهم قصصاً مسلية كانوا يضجون بالضحك – كالأطفال . واشتريت لهم طيوراً مغردة وأقفاصاً ووضعت واحداً منها في كل زنزانة . وأحبوا طيورهم مثلما أحبوني . وكانوا يحبون أن أرتدي ثياباً زاهية – بلوزة حمراء أو بلوزة صفراء . كانوا يعشقون الألوان البراقة المرحة ! صدقني ! وكنت أرتدي من أجلهم مثل هذه الثياب عن قصد . (تزفر .) كانت الحياة حلوة معهم ! وانقضت ثلاث سنوات دون أن أشعر بها . وحين قتل الحصان زوجي لم أبكه بقدر ما بكيت لأنه لا بدّ لي من مغادرة السجن . حزنت كثيراً ! وكان المساجين آسفين أيضاً . (تتلفت حواليها في الغرفة .) وهنا في هذه المدينة حياتي أسوأ . . . هنالك شيء – شيء مشؤوم في هذا البيت . ليس الناس من هم سيئون ، بل شيء آخر . لكن ، إسمع ، لقد استسلمت للأسى – ونال مني

البؤس . هذان نحن نتحدث هنا ، أنت وأنا ، في حين أن امرأة قد يطويها الردى في تلك الغرفة .

تيتريف (في هدوء) : ولسنا آسفين عليها .

يلينا (في سرعة) : ألا تأسف ؟

تيتريف : كلا . ولا أنت تأسفين .

يلينا (بصوت خافت) : كلا ، أنت على حق . قد يكون هذا خطئاً ، أنا أعرف ، غير أنني لا أشعر بذلك . يحدث هذا أحياناً : أنت تعرف أن هذا الشيء خطأ ، بيد أنه لا يلوح كذلك . اسمع . . . فأنا أشفق عليه — على بيوتر فاسيلييفيتش — أكثر مما أشفق عليها . أشفق عليه عموماً . فهو بائس ههنا ، أليس كذلك ؟

تيتريف : الجميع هنا بائسون .

بوليا (تدخل) : السلام ع . . .

يلينا (تثب على قدميها وتسرع نحوها) : هس ! صه ! أتعرفين ما جرى ؟ تناولت تانيا السم !

بوليا : م . . ا ذ . . ا ؟

يلينا : أجل ، تناولته . الطبيب وأخوها موجودان لديها الآن .

بوليا : أهي تموت ؟ هل ستموت ؟

يلينا : لا أحد يدري .

بوليا : فيم فعلت ذلك ؟ هل قالت ؟

يلينا : لست أدري . لا أظن ذلك .

بيوتر (يطل برأسه المشعث من الباب) : يلينا نيقولاييفنا ، لحظة من فضلك . (تسرع يلينا إليه)

بوليا (إلى تيتيريف) : لماذا تنظر إليّ على هذا المنوال ؟
تيتيريف : كم مرة طرحت عليّ مثل هذا السؤال ؟
بوليا : هذا شيء طبيعي – اذا ظللت ترمقني بمثـــل هذه النظرة الخاصة ، لماذا تفعل ذلك ؟ (تتجه ناحيتـــه وتتحدث في صرامة) أتحسبني مسؤولة عن هذا ؟
تيتيريف (يضحك ضحكة مبتسرة) : أ تشعرين بما يشبـه الذنب ؟
بوليا : أشعر أني أكرهك أكثر وأكثر – هذا ما أشعر به ! لكن قل لي ، كيف حدث ذلك ؟
تيتيريف : البارحة تعرضت لهزة صغيرة ، ولما كانت ضعيفة سقطت اليوم . هذا كل شيء !
بوليا : هذا ليس صحيحاً !
تيتيريف : ما هو غير الصحيح ؟
بوليا : أعرف هذا الذي تلمح اليه ، ولكنه ليس صحيحاً ! إن نيل . . .
تيتيريف : أهو نيل ؟ ما علاقة نيل بذلك ؟
بوليا : لا شيء . وليست لي علاقة أنا الأخرى . لا علاقة لأي منا أنت . . . كلا ! أعرف أنه يتبادر إلى ذهنك أنها خطيئتنا ، لكن ما العمل ؟ أنا أحبه وهو يحبني . وقد بدأ ذلك منذ زمن بعيد !
تيتيريف (في رزانة) : أنا لا ألومك على الإطلاق . أنت . . . أنت تتهمين نفسك بشيء ما ، وهذا ما يجعلك تحاولين تبرير نفســـك امام اول مَن تقابلين . فيم تفعلين ذلك ؟ أنا . . . احترمك كثيراً . من كان يقول لـــك

مراراً وتكراراً – بصورة دائمـــة وفي اصرار – أن تخرجي من هذا البيت في أسرع وقت ، أن تبتعدي عنه وانه ثمة شيء مؤذ هنا يسمّم روحـــك ؟ انا الذي قلت .

بوليا : اذن ؟

تيتيريف : لا شيء . أردت أن أقول فحسب إنك لو عملت بنصيحتي لما كنت تعانين مما تعانين منه الآن . هذا كل شيء !

بوليا : حسناً . لكن ، كيف استطاعت أن تفعل مثـــل هذا الأمر ؟ هل حياتها في خطر ؟ ماذا شربت ؟

تيتيريف : لا علم لي .

(يخرج بيوتر والطبيب من الغرفة)

بيوتر : أرجو أن تذهبي وتساعدي يلينـــا نيقولاييفنـــا ، يا بوليا .

تيتيريف (إلى بيوتر) : كيف حالها ؟

الطبيب : لأمر بسيط ! لو لم تكن المريضة عصبية لمـــا حدثت أية نتائج سيئة . فقد شربت كمية قليلـــة – وأحرقت المرىء قليلاً وتسرب شيء من النشادر إلى معدتها ، ولكنها لفظته فوراً .

بيوتر : أنت متعب ، يا دكتور . فتفضل بالجلوس . . .

الطبيب : شكراً ستشعر بوعكة خلال أسبوع تقريباً . كانـــت

لدي حالة طريفة قبل أيام : فقد شرب أحـد الدهانين السكارى قدحاً من الطلاء بدلاً من الجعة . . .

(يفتح بيسيمينوف باب غرفته ويقف هنالك دون أن ينطق بكلمة ، محدقاً في الطبيب في تساؤل كئيب .)

بيوتر : اطمئن ، يا أبتاه . فليس هنالك خطر !

الطبيب : نعم نعم ! ليس ثمـــة خطر ، لا تذعر ! في غضون يومين أو ثلاثة أيام ستقف على قدميها من جديد .

بيسيمينوف : أحقاً تقول ؟

الطبيب : أؤكد لك ذلك !

بيسيمينوف : لك شكري ! إذا كان ما تقول حقاً ، إذا كان صحيحاً ما تقول من أنه ليس ثمة خطر ، فأنا أجزي لك مزيد الشكر ! بيوتر . . . تعال . . . إلى هنا .

(يذهب بيوتر إليـــه . يتراجع بيسيمينوف الى باب غرفته . يسمع من هناك صدى همسات ورنين نقود .)

تيتيريف (إلى الطبيب) : وماذا حدث للدهان ؟

الطبيب ؛ إيه ؟ ماذا ؟

تيتيريف : الدهان . . . ماذا حدث له ؟

الطبيب : هو ؟ لا شيء . تحسنت صحته . هم . يخيل إليّ أننا التقينا سابقاً ، أليس كذلك ؟

تيتيريف : محتمل .

الطبيب ؛ ألم تكن . . . اهه . . . مرة نزيل المستشفـــى مصاباً بالحمى التيفية ؟

تيتيريف : صحيح !

الطبيب (مسروراً) أرأيت ؟ كنت واثقاً أني شاهدتك من قبل . رويدك . . . كان ذلك في الربيع الماضي . أليس كذلك ؟ ويخال لي أني أذكر اسمك ولقبك . . .

تيتيريف : وأنا أذكرك .

الطبيب حقاً ؟

تيتيريف : أجل . حين كنت أتماثل للشفاء سألتك أن تزيد نصيبي من الطعام ، فقطبت وجهك وقلت : «كن ممتناً لما يُعطى لك . إن أمثالك من المتشردين والسكارى كثيرون» . . .

الطبيب (في ارتباك) : كيف هذا ! لكن ذلك . . . ذلك . . . عفوك ، لكن أنت . . . اسمك . . . إذن ، أنا الدكتور نيقولاي ترويروكوف ، و . . .

تيتيريف (يقترب منه) : وأنا تيرينتي بوغوسلوفسكي سكير بالوراثة وفارس الزجاجة الخضراء . (يتراجع الطبيب من أمامه .) لا تخف ، فلن أؤذيك . (يمر تيتيريف الى جواره متجهاً صوب باب المدخل . يراقبه الطبيب في ارتباك ، يروّح وجهه بقبعته . يدخل بيوتر .)

الطبيب (يتلفت وراءه وينظر الى باب المدخل) : الا انني يجب أن أذهب . الى اللقاء ! فهناك من ينتظرونني . إذا شكت ألماً كرروا لها القطرات . لكنه لن يكون هنالك ألم شديد . الى اللقاء ! أوه . . . إذن . . . ذلك الرجل الغريب الذي كان هنا لتوّه . . . هل هو . . . من . . . أقربائكم ؟

بيوتر : كلا ، هو مستأجر عندنا .

الطبيب : كذا ! عظيم ! انه غريب جداً ! طاب نهاركم ! شكراً لكم ! (يرافقه بيوتر الى الخارج . يدخل بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا قادمين من غرفتهما ، ويتجهان على أطراف أصابعهما ، وفي حذر ، ناحية باب غرفة تاتيانا .)

بيسيمينوف : رويدك . لا تدخلي . ليس ثمة صوت . قد تكون نائمة . لا يجوز أن نوقظها . (يقود أكولينا إيفانوفنا ناحية الصندوق في الركن .) هذه هي الامور ، يا أمّ ، لقد عشنا لنرى يوم العيد ! ستنطلق الأقاويل والثرثرة في البلدة الآن ، ولن يكون لها انتهاء !

أكولينا إيفانوفنا : أيها الأب ! ماذا بك ؟ ماذا تقول ؟ فليثرثروا ما طاب لهم . فليقرعوا الأجراس بهذا النبأ حسبنا ان تبقى حية !

بيسيمينوف : أجل ، أنا أعرف . . . هذا صحيح ! ولكنك . . . يا للخسارة ! انت لا تفهمين الأمر ! لقد لحق بنا العار انا وانت !

أكولينا إيفانوفنا : العار ؟ لماذا ؟

بيسيمينوف : أن تحاول ابنتك الانتحار بالسم ! فاهمة ؟ هل آذيناها ؟ زعلناها ؟ هل كنا قساة معها ؟ اما هم فسوف يقولون عنا ما يشاؤون . لست أبالي ، أستطيع أن أحتمل كل شيء في سبيل أولادي ، لكن فيم يترتب عليّ ذلك ؟ ماذا فعلت لينوبني ذلك ؟ هذا ما أحب أن أعرفه . أولادي ! هم يعيشون

صامتين . ماذا في قلبيهما ؟ لست أدري . ماذا يدور في خلدهما ؟ لا يمكنني أن أخمّن ! وهذا ما يحزُ في نفسي !

أكولينا إيفانوفنا : أنا أعرف . وهو يحزُ في نفسي أيضاً . فأنا أمهما في نهاية المطاف . اليوم بطوله استنفد نفسي في سبيلهما ، ولا أتلقى منهما كلمة شكر واحدة . أنا أعرف ! لا أبالي كثيراً بذلك إذا كانا في صحة جيدة وسعادة ، أما أن يقع ما وقع !

بوليا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انها تستسلم للنوم . الزموا الهدوء في كلامكم . . .

بيسيمينوف (ناهضاً) : كيف حالها ؟ هل يمكن أن ندخل ونراها ؟

أكولينا إيفانوفنا : ماذا لو دخلت في هدوء ؟ والدها وأنا فقط . . .

بوليا : أمر الطبيب ألا يراها أحد .

بيسيمينوف (متشككاً) : وكيف تعرفين هذا ؟ فأنت لم تجتمعي بالطبيب .

بوليا : أخبرتني بذلك يلينا نيقولاييفنا .

بيسيمينوف : أهي هنالك في الغرفة ؟ ما رأيك في هذا ؟ الغرباء يرونها وأبواها ممنوعان . شيء مدهش حقاً .

أكولينا إيفانوفنا : سنتناول الطعام في المطبخ بحيث لا نسبب لها ازعاجاً ، ابنتي الغالية ! وغير مسموح لي باختلاس نظرة واحدة إليها ! (تخرج الى باب المدخل وهي تلوّح بيدها في يأس . تقف بوليا مستندة إلى الخوان محدقة

في باب غرفة تاتيانا . حاجباها مقطبان ، وشفتاهـــا منطبقتان ، وجسدها مشدود . يجلس بيسيمينوف الى المنضدة كمن ينتظر شيئاً .)

بوليا (في لطف) : هل كان والدي هنا هذا النهار ؟

بيسيمينوف : أنت لا تسألين عن والدك . فما يهمك منـه ؟ أعرف أنا عمن تسألين . (تنظر إليـــه بوليـــا في انشداه .) أجل كان والدك هنا . . . في ثيابه الرثة القذرة ، مجرداً من كل ما يخلع عليه ذرة من اللياقة . ومع هذا عليك أن تحترميه باعتباره والدك .

بوليا : أنا أحترمه . فيم تنبئني بذلك ؟

بيسيمينوف : لكي تعرفيه . والدك أفاّق ، ومع هذا مـــن واجبك الخضوع لمشيئته . هل تعرفون انتم الشبان قيمة الأب ؟ أنتـــم الشبان جميعاً عاطلون مـــن أي شعور . أنظري إلى نفسك – فتاة فقيرة ، لا تملكين سقفاً . من المفترض أن تكوني متواضعة ، أن تكوني لطيفة ورقيقة مع الجميع ، وبدلاً من هذا تحاولين أن تتفلسفي كما تشائين وان تحاكي المثقفين . هكذا . والآن ستتزوجين ، بينما في تلك الغرفة فتاة كادت تفقد حياتها . . .

بوليا : ماذا تقصد ؟ فيم تقول مثل هذا الكلام ؟

بيسيمينوف (في اضطراب مَنْ فقـــــد الترابط في أفكاره فغضب) : فكري في الأمر . حاولي أن تفهمي . لهذا السبب أنا أقول هذا الكلام ، كيما تفهمي ! من أنت ؟ شيء ، ومع هذا . . . ستتزوجين ! اما ابنتي . . .

فيم وقوفك هنا ؟ اذهبي الى المطبـــخ ! اصنعي أي شيء ! سأتولى أنا المراقبة ، فاخرجي أنت ! (تنظر بوليا اليه في حيرة ، وتستدير للانصراف .) لحظة ! أنا . . . أنا . . . كنت قاسيـــاً مع أبيـــك هذا النهار . . .

بوليا : لماذا ؟

بيسيمينوف : ليس هذا من شأنك ! اذهبي . . . اخرجي !

(تخرج بوليا مشدوهة . يتحرك بيسيمينوف في هدوء ناحية باب غرفة تاتيانا ، ويفتحه قليلاً ليسترق النظر من خلاله . تخرج يلينا وتبعده عن الباب)

يلينا : لا تدخل . يبدو أنها نائمة !

بيسيمينوف : هم . في مقدوركم جميعاً أن تزعجونا كمـــا تستطيعون ، هذا لا يهمكم ، ولا نملك نحن الحق في ازعاجكم .

يلينا (مشدوهة) : ماذا تقول ؟ انها مريضة !

بيسيمينوف : أعرف . . . أعرف كل شيء . (يخرج الى باب المدخل . تهزُ يلينا كتفيها وهي تلاحقه بنظراتها . ثم تخطو إلى النافذة ، وتجلس على الأريكة ، وتشبك يديها وراء رأسها ، وتستغرق في أفكارها . تلهو على شفتيها بسمة ، وتغلق عينيها حالمة . يدخل بيوتر كئيبـــاً مشوش الهندام . ينفض رأسه كمن يريد أن يتخلص من شيء . يتوقف حين يرى يلينا)

يلينا (دون أن تفتح عينيها) : من هنا ؟

بيوتر : فيم تبسمين ؟ غريب أن أرى أحداً يبتسم الآن ، بعد كل ما جرى .

يلينا (تنظر إليه) : غضبان ؟ تعبان ؟ يا للصبي المسكين ! لكم أرثي لك !

بيوتر (يجلس على الكرسي الى جانبها) : أنا نفسي أشعر بالرثاء على نفسي .

يلينا : يجب أن ترحل إلى مكان ما .

بيوتر : أعرف ذلك . حقاً ، ما الذي يبقيني هنا ؟ هذه الحياة ترهقني الى حد بعيد .

يلينا : كيف تتمنى أن تعيش ؟ أخبرني ! ما أكثر ما طرحت عليك هذا السؤال دون أن تعطيني عنه جواباً .

بيوتر : صعب أن أكون صريحاً .

يلينا : معي أنا ؟

بيوتر : حتى معك أنت . أنى لي أن أعرف رأيك فيّ ؟ او كيف تتقبلين ما قد أقول لك ؟ يخيل إليّ أحياناً أنك . . .

يلينا : أنني ماذا ؟

بيوتر : أنك طيبة . . .

يلينا : انني اضمر لك كثيراً من الطيبة يا صبيي !

بيوتر (في حمية) : أنا لست صبياً ! كلا ! لقد أطلت التفكير . فاسمعي ، واخبريني بصدق – أتثير اهتمامك كل هذه الهموم الصاخبة لنيل ، وشيشكين ، وتسفيتاييفا ، وجميع الآخرين من أصحاب الأصوات الطنانة ؟ كل تلك القراءات المشتركة بأصوات عالية للكتب المفيدة وتلك

المسرحيات التي يقدمونها للعمال مما يعتقد انه أسلوب معقول لتزجية الوقت ونشاطاتهم الصاخبة كلها . . . هل هي نشاطات لها أهميتها حقاً ؟ هل هي جديرة أن يكرس المرء لها حياته كلها ؟ ما رأيك ؟

يلينا : أنا جاهلة ، عزيزي ! ولا أستطيع أن أحكم ، فانا لا أعرف . . . وأنا امرأة طائشة . وهم يبدون لطفاء في نظري – نيل وشيشكين والآخرون جميعاً . هم مرحون متألقون ودائماً يقومون بعمل من الأعمال . وأنا مغرمة بالناس المرحين . فأنا نفسي مرحة . لكن ، فيم تسأل ؟

بيوتر : لأنهم يثيرون أعصابي ! إن كانوا يستلذون هذه الحياة وتناسبهم فليعيشوها ! فلا اعتراض لديّ على ذلك . أنا لا أعترض على أحد ، مقابل ان لا يعترض على الطريقة التي أعيش بها . لماذا يمنحون عملهم اهمية خاصة ؟ فيم يسمونني جباناً وانانياً . . .

يلينا (تلمس رأسه بيدها) : لقد عذبوك . . . واتعبوك . . .

بيوتر : أبداً ، هذا غير صحيح . أنا متضايق فحسب . إن لي الحق في أن أعيش كما أهوى أنا ! أفلا أملك هذا الحق ؟

يلينا (تعبث بشعره) : هذا سؤال صعب أيضاً ، بالنسبة إليّ . انني أعرف امراً واحداً وهو انني أعيش كما أهوى ، وأتصرف حسب رغباتي ، ولا يستطيعنّ أحد ان يقنعني بالذهاب إلى الدير . لن أذهب إلى هناك

أبداً ! واذا أرغموني على ذلك هربت أو القيت بنفسي في النهر . . .

بيوتر : أنت تقضين معهـــم من الوقت أكثر ممـــا تقضين برفقتي . ويعجبونك أكثر مما أعجبك أنا ! أنـا أحس ذلك . لكن ما وددت أن أقول لك – وبمقدوري أن أقول هذا ! – أنهم براميل فارغة .

يلينا (مشدوهة) : هم ماذا ؟

بيوتر : براميل فارغة . هنالـــك اسطورة عن براميـــل فارغة . . .

يلينا : أعرفها . ولكن . . . هل أنا ايضاً . . . يعني أنا برميل فارغ ايضاً ؟

بيوتر : أوه كلا ! أما أنت فلا ! أنت تنبضين حياة . أنت تنعشين المرء مثل جدول !

يلينا : كذا ! أيعني هذا أنني باردة في نظرك ؟

بيوتر : أرجوك لا تمزحي ! هذه اللحظة . . . ولكنـــك تضحكين . لماذا ؟ أمضحك أنا ؟ أريد أن أعيش ، أعيش كما يطيب لي ، وكما أراه مناسباً !

يلينا : ولِمَ لا تفعل ؟ من يمنعك ؟

بيوتر : من ؟ هنالك شخص – أو شيء ! كلما فكرت أن أعيش وحيداً مستقلاً هيأ لي أن شخصاً يقول إن هذا غير جائز لي !

يلينا : ضميرك ؟

بيوتر : وما شأن الضمير بهذا ؟ أنا لست راغباً في أقتراف

جريمة . أريد فقط ان أكون حراً . . . أريـــد ان أقول . . .

يلينا (تنحني نحوه) : هذه الاشياء لا تقال بهذه الطريقة ! ينبغي قولها ببساطة اكثـر ! ولســـوف أساعدك ، يا صغيري المسكين ، بحيث لا تختلط عليك هذه الأمور البسيطة .

بيوتر : انت تعذبينني بالمزاح ، يا يلينا نيقولاييفنا ! هذه قسوة منك ! ما أريد أن أقول هو : هذا أنا ، أعري روحي أمامك !

يلينا : ليس هذا ما يجب ان تقوله !

بيوتر : قد أكون رجلاً ضعيفاً . فالحياة أقوى مني كثيراً ! وأنا احسّ وضاعة ما يحدق بي ، ولكنني عاجز عـــن تبديله أو ان ادخل شيئاً فيه . اريد أن أرحل ، وأن أعيش وحيداً . . .

يلينا (تأخذ رأسه في يديها) : ردد ورائي ما أقول : أنـــا احبك !

بيوتر : اجل ، اجل ! ولكنك تهزلين !

يلينا : كلا ، أنا لا أهزل ، بل أنا أتحدث بجدّية مطلقة . لقد قررت منذ زمن طويل أن أتخذك زوجاً ! قد لا يكون هذا امراً طيباً ، ولكنني أريده بصورة مرعبة .

بيوتر : ما أسعدني ! أحبك مثل . . . (يسمع أنين تاتيانا وراء الجدار . يثب بيوتر ويتطلع حواليه في ارتباك . تنهض يلينا بدورها في هدوء . يقول بيوتر بصوت خافت .) أهذه تانيا ؟ وهذان نحن ها هنا . . .

يلينا : (تمر به متجهة الى غرفة تاتيانا) : نحن لا نرتكب إثماً .

صوت تاتيانا : ماء ! أعطوني ماء !

يلينا : أنا قادمة . (تبتسم لبيوتر وتذهب . يقف بيوتر ممسكاً رأسه بيديه محدقاً أمامه في حيرة . ينفتح باب المدخل وتقف أكولينا إيفانوفنا عند المدخل .)

أكولينا إيفانوفنا (في همسة مرتفعة) : بيتيا ! بيتيا ، أين أنت ؟

بيوتر : هنا .

أكولينا إيفانوفنا : تعال وتناول طعامك .

بيوتر : لا أريد . لن آتي .

يلينا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انه ذاهب الى غرفتي .

(تلقي عليها أكولينا إيفانوفنا نظرة مستاءة ، وتخرج .)

بيوتر (يندفع ناحية يلينا) : ما أفظع ما حدث ! هناك هـي تضطجع أما نحن . . . نحن . . .

يلينا : هيا . ما وجه الفظاعة في هذا ؟ حتى في المسرح يقدمون دائماً شيئاً خفيفاً بعد المسرحية الثقيلة . أما في الحياة الحقيقية فنحن أحوج ما نكون الى ذلك .

(يلتصق بيوتر بها فتتأبط ذراعه وتقوده خارجاً)

تاتيانا (تئن بصوت خشن) : لينا ! لينا !

(تدخل بوليا راكضة)

ستار

الفصل الرابع

(الغرفة ذاتها)

المساء . مصباح على المنضدة يرسل ضوءه في الغرفة . بوليا تهيئ أدوات الشاي . تاتيانا التي لا تزال مريضة مضطجعة على الكنبة في الركن بعيدة عن متناول ضوء المصباح . تسفيتاييفا تجلس على الكرسي الى جوارها .

تاتيانا (في رقة وعتاب) : أتحسبين أنني لا أريد أن أواجه الحياة بمرح وجرأة مثلك ؟ لكم أريد ذلك . . . ولكنني لا أستطيعه ! ولدت دون إيمان فى قلبي . وتعلمت أن أفكر .

تسفيتاييفا : أنت تفكرين يا عزيزتي أكثر من اللازم . وعليك الاعتراف ان الامر لا يستأهل من المرء ان يكون ذكياً لمجرد التفكير حسب . أليس كذلك ؟ بلى التفكير شيء طيب ، لكنه يترتب أن يكون لدى المرء شيء من الخيال أيضاً . وإلا كانت حياته مملة وعبثاً لا يطاق . ينبغي أن يكون قادراً على تكوين رؤيا عن المستقبل . . . ولو من حين الى حين على أقل تقدير .

(تبتسم بوليا في حنان وتأمل وهي تصغي الى تسفيتاييفا في انتباه)

تاتيانا : وماذا هنالك في المستقبل ؟

تسفيتاييفا : أي شيء تريدين أن تنعمي برؤيته !

تاتيانا : ولكن . . . لا بدّ أن يكون لديك خيال واسع !

تسفيتاييفا : بل يجب أن يكون لديك الإيمان .

تاتيانا : الإيمان بماذا ؟

تسفيتاييفا : بالحلم الذي تحلمين . اسمعي . . . عندما أنظر في عيون تلاميذي أروح أفكر : هذا نوفيكوف – حينما ينهي المدرسة سيذهب الى الثانويـــة وبعدهـــا الى الجامعة – وقد يغدونّ طبيباً كما يبدو لي ! إنه تلميذ مجتهد ، طيب وجدّيّ ، وله جبين عريض . وهو قريب من قلوب الناس . ولطيف . لسوف يعمل جادّاً ، دون أن يخطر له الربح في بال ، وسيحبه الناس ويحترمونه كثيراً ، وهذا ما أنا واثقة منه ! وذات يوم ، وهـــو يستعيد ذكريات طفولته ، سيتذكر كيف أن معلمتـــه تسفيتاييفا أصابته في أنفه حين كانـــت تلاعبـــه في الفرصة . أو لعله لا يتذكر . فالأمر سيان ! ولكنه سيتذكر دون ريب . فهو يحبني كثيراً . كما أن هنالك كلوكوف المهلهل الثياب القذر الوجه الشارد الذهن . انه كثير الجدل مشاكس شيطان . هو يتيم – يعيش مع عمه الحارس الليلي . وهذا فقير جداً ، ولكنه فتى عزيز النفس جسور ! أظن أنه سيصير صحفياً عندما يكبر . آه لو تعرفين عدد الأولاد الظرفاء في صفـــي ! وأنا على الدوام أفكر من غير قصد في مستقبلهم والدور الذي سوف يلعبون في الحياة . ما أمتع أن أتصور كيف

سيعيش تلاميذي . شيء تافه ، يا تانيا ، لكنك لا تتصورين مقدار السعادة التي يمنحنيها !

تاتيانا : وأنت ، أين أنت نفسك ؟ قد يكون لتلاميذك مستقبل برّاق في انتظارهم ، أما انت فأين تكونين يومها ؟

تسفيتاييفا : أتشيرين أني قد أكون غدوت في القبر ؟ أبداً ! عزمت أن أعيش حياة مديدة !

بوليا (تتنفس الكلمات في رقة ولطف) : ما أعذبكِ ، يا ماشا ! ما أطيبك . . .

تسفيتاييفا (تبتسم لبوليا) : أخذتْ العصفورة الصغيرة تغرد . . . أنا لست عاطفية ، يا تانيا ، لكنني حين أفكر في المستقبل ، في أناس المستقبل ولون الحياة التي سيعيشون ، تطفح في جوانحي أحاسيس عذبة حزينة – كأن يوماً خريفياً منعشاً يشرق في قلبي . . . تعرفين ما أعنيه بهذا القول ، ذلك حين تشرق في السماء الصافية شمس وديعة ، ويشف الهواء ويسكن ، ويسبغ الوضوح على الأفق البعيد – فالجو منعش وليس بارداً ؛ مشمس وليس حاراً .

تاتيانا : أحلام ! أحلام ! بالمناسبة ، أنا أعتقد انكم جميعاً ، أنت ونيل وشيشكين والآخرون ، من ذلك الصنف الذي يقدر أن يعيش فعلاً على الأحلام ، أما أنا فلا استطيع .

تسفيتاييفا : رويدك ، فهي ليست مجرد أحلام . . .

تاتيانا : لم يبدُ لي أبداً أي شيء حقيقياً . لا شيء . فيما عدا أن هذا الشخص هو أنا ، وهذه الجدران . حين

أقول «نعم» أو «لا» ، فلا أقول ذلك عن اقتناع ، بل أقول لمجرد أن أجيب فحسب . والله ! وأحيانا حين أقول «كلا» افكر بيني وبين نفسي فوراً : أكنت على صواب ؟ أفما كان يجب أن أقول «نعم» ؟

تسفيتاييفا : أنت تستمتعين بذلك . إمعني الفكر في نفسك : أفلست مفتونة حتى درجة ما بهذا «الازدواج في الشخصية» ؟ أو لعلك خائفة من أن تضعي ايمانك في أي شيء . فالايمان يتطلب مسؤوليات .

تاتيانا : لست أدري . . . صدقيني لست أدري . اهديني الى ايمانك . فأنتم تهدون الآخرين . (تضحك في رقة .) أَرثي لأولئك الذين يصدقونكم . فانتم تخدعونهم ! فالحياة كانت دائماً وستظل الى الأبد كما هي الآن — دامسة خانقة !

تسفيتاييفا (باسمة) : أحقاً ؟ قد لا يكون هذا ؟

بوليا (كمن تخاطب نفسها) : لن يكون !

تاتيانا : ماذا قلتِ ؟

بوليا : قلت لن يَكون هذا !

تسفيتاييفا : عظيم ، أيها العصفور الصغير الوديع !

تاتيانا : واحدة أخرى من المؤمنين المساكين ! لكن اسأليها لماذا لن يكون هذا ؟ وما الذي سيبدلها ؟ اسأليها . . .

بوليا (تقترب منهما في هدوء) : المشكلة هي ان . . . الحياة في الوقت الراهن ليست ملكاً للجميع ! فليلون من الناس يعيشون حقاً . والغالبية فيهم لا يجدون وقتاً

لذلك . الوقت الوحيد الذي يملكون هو في سبيل العمل . . . الحصول على لقمة العيش . أما حينما هم أيضاً . . .

شيشكين (يدخل مسرعاً) : مرحباً للجميع ! (الى بوليا) مساؤك سعيد ، يا ابنة الملك دونكان ذهبية الشعر !

بوليا : ماذا ؟ أي ملك ؟

شيشكين : أها ! ضبطتك ! من الواضح انك لم تقرئي اذن هايني الذي تركته لديك قبل أسبوعين . طاب مساؤك ، يا تاتيانا فاسيلييفنا !

تاتيانا (تمدّ له يدها) : ليس لديها وقت للكتب الآن . فلسوف تتزوج .

شيشكين : حقا ؟ تتزوج ؟ ممن ؟

تسفيتاييفا : من نيل .

شيشكين : نيل ! في هذه الحال بمقدوري حتى ان أهنئك ، ولكنني بصورة عامة لا أرى شيئاً حكيماً في الزواج ، وما يتبع ذلك من أمور . فالزواج في الظروف الراهنة . . .

تاتيانا : أوه ، أسكت ! ارحمنا ! فلطالما سمعنا وجهات نظرك في هذا الموضوع .

شيشكين : حسناً سأسكت ! فليس لديّ وقت ، على أية حال . (الى تسفيتاييفا) هل تأتين معي ؟ عظيم ! أين بيوتر ؟

بوليا : فوق .

شيشكين : هم . . . كلا ، لن أذهب إليه ! أخبريه أنت ،

يا تاتيانا فاسيلييفنا ، أو أنت ، يا بوليا ، أنني فعلتها من جديـــد . . . وأن . . . الدروس لدى بروخوروف شاغرة .

تسفيتاييفا : من جديد ؟ أنت سيىء الحظ حقاً !

تاتيانا : هل تشاجرتما ؟

شيشكين : في الحقيقة . . . ليس تماماً ! حاولـت أن أكون مهذباً . . .

تسفيتاييفا : ما هو السبب ؟ أما كنت نفسك مسروراً مـن بروخوروف ؟

شيشكين : نعم ! كنت كذلك ، اللعنة عـــلى كل شيء ! وفي الحقيقة أنه افضل من كثيرين . هو ليس غبيّاً ، لكنه متبجح بعض الشيء ، وثرثار ، وعموماً . . . (ينفجر فجأةً .) هو حيوان !

تاتيانا : أشك في أن يؤمن بيوتر لك تلميذاً آخر بعـــد هذا . . .

شيشكين : اجل . . ل . قد يستبدّ به الغضب مني .

تسفيتاييفا : ماذا حدث بينك وبين بروخوروف ؟

شيشكين : أتتصورين ذلك ؟ لقد تبين أنه معادٍ للساميّة !

تاتيانا : وما شأنك في ذلك ؟

شيشكين : ولكن هذا لا يليق ! لا يمكن ان ينطوي رجل مثقف على مثل هذه المشاعر ! وعموماً فهو برجوازي ، هذه حقيقته ! اليك هذه القصة على سبيل المثال : شرعت خادمته تداوم على مدرسة الأحد . رائع ! هو نفســه ألقى عليّ خطبـــة طويلـة مملـة عن فائـدة هذه

المدارس – رغم أني لم أطلب منه ذلك ! بل لقد تباهى بأنه واحد من مؤسسي هذه المدرسة . حسناً ، لقد رجع ذاتَ يومٍ أحدٍ الى البيت ، و – يا للهول ! – فتحت له الباب المربية بدلاً من الخادمة . سأل أيـن هي الخادمة ؟ فأجابته : في المدرسة . هكذا اذن ! واذا به منع الخادمة من الذهاب الى المدرسة ! ما رأيك في هذا ؟

(تهزّ تاتيانا كتفيها ولا تقول شيئاً)

تسفيتاييفا : وجميع تلك الخطب التي كان يلقيها !

شيشكين : ان بيوتر يؤمن لي عموماً طلاباً من الجهلة ، كأنه يسخر مني .

تاتيانا (في جفوة) : ان لم يُخطئني الظن فقد كنـتَ مسروراً من الصراف . . .

شيشكين : فعلاً . كان عجوزاً طيباً ، ولكنه من هواة جمـع النقود ! كان على الدوام يدسُّ قطعاً نحاسية تحـت أنفي ويهذي عن القياصرة والأباطرة والفراعنـة في عرباتهم الحربية . مللِتُ منه حد انني لم استطع بعـد تحمل ذلك ، وعالنته ذات يوم قائلاً : «اسمع ، يـا فيكينتي فاسيليييفيتش ، ان كل هذا الاشيـاء محض تفاهات في نظري ، وان أي حجر في الطريق اكثر قدماً من قطعك النقدية» . فأثار ذلك غضبه . قال : «أترمي الى أني أضعت خمس عشرة سنة من حياتي على أشياء

تافهة ؟» فأجبته بالايجاب ، وحين دفع حسابي استنزل نصف روبل . إحتفظَ به لمجموعته على ما أظن . ولكن ذلك قليل الشأن . أما هذه القضية مع بروخوروف فأنا . . . هِمْ . . . (في كآبة .) ان لي خُلقاً سيئاً ! (في عجلة) ماريا نيكيتيشنا ، لقد أزف أوان ذهابنا ! هيّا بنا !

تسفيتايفا : أنا على استعداد . وداعاً ، يا تانيا ! غداً هو يوم الأحد ، وسآتي لرؤيتك صباحاً .

تاتيانا : أشكرك . أشعر فعلاً أني نوع من العشب الزاحف تحت اقدامكم – فما فيَّ شيء جميل أو نافع – بل إنني أحول دون الناس الذين يسيرون ، اذ أتشبث بهم . . .

شيشكين : َهه ْ ! يا للفكرة المرعبة !

تسفيتايفا : من المؤلم أن يسمعك المرء تقولين مثل هذا الكلام ، يا تانيا .

تاتيانا : رويدك . اسمعي لقد عرفت . . . عرفت منطق الحياة القاسي : ليس بمقدور ذلك الذي لا يستطيع الايمان بشيء ، ان يعيش ، بلى . . . وليس عليه الا ان يموت !

تسفيتايفا (باسمة) : حقاً ؟ ولكنه قد لا يموت !

تاتيانا : أنت تسخرين مني . أليس لديك شيء أفضل تفعلينه ؟ أهناك حاجة الى الضحك مني ؟

تسفيتايفا : هذا غير صحيح ، يا عزيزتي ، فأنا في الحقيقة لا أسخر منك ! مرضك هو الذي يجعلك تقولين مثل

هذا الكلام – مرضك وتعبك ولست انت . . . حسناً ، وداعاً ! ولا تحسبي أننـا أشرار وغلاظ قلوب . . .

تاتيانا : اذهبوا ! وداعاً !

شيشكين (الى بوليا) : حسناً ، متى تشرعين في قراءة هايني ؟ أوه ، لقد نسيت ، فأنت ستتزوجين . هِمْ ! كان في مقدوري أن أقول شيئاً أو شيئين ضد هذا ، لكن . . . وداعاً ! (ينصرف في اثر تسفيتاييفا . صمت .)

بوليا : يخال لي أن صَلاة الغروب ستنتهي قريباً . هل أطلب جلب السماور ؟

تاتيانا : لا أحسب أن والديَّ سيشربان الشاي . لكـن افعلي ما تشائين . (صمت) في الماضي كان الصمـت يثقل على أعصابي ، أما الآن فأنـا مسرورة مـن ان السكون يسود بيتنا .

بوليا : أما حان وقت تناولك الدواء ؟

تاتيانا : كلا . كان الجو في بيتنا الايام الاخيرة صخباً وضجيجاً كثيراً . ما أصخب شيشكين هذا . . .

بوليا (تقترب منها) : انه انسان لطيف حقاً .

تاتيانا : طيب القلب ، لكنه ليس ذكياً .

بوليا : انه طيب ، ولديه جرأة . ما ان يرى شيئاً غير عادل حتى يقف ضده . أرأيت كيف اهتم بحادثـة الخادمـة ، فمَنْ يهتم بحياة الخادمات وغيرهن من الناس الذين يعملون لدى الأثرياء ؟ اما أبدى أحدهم اهتماماً فهـل يجرؤ هذا ان يقف الى جانبهم ؟

تاتيانا (دون أن تنظر الى بوليا) : قولي لي ، يا بوليا . . .

ألست خائفة من الزواج من نيل ؟
بوليا (مشدوهة وفي هدوء) : لماذا أخاف ؟ لست خائفة طبعاً .
تاتيانا : لماذا ؟ لوكنت مكانك لانتابني الخوف – أقول لك هذا لأني أحبك ! فأنت لست مثله . أنت فتاة بسيطة ، أما هو فما أكثر ما قرأ من كتب ! هو مثقف . وقد يضجر منك . هل فكرت في هذا ، يا بوليا ؟
بوليا : كلا ، أنا أعرف أنه يحبني .
تاتيانا (في مضض) : لا يمكن للمرء أن يعرف ذلك . . .

(يدخل تيتيريف حاملاً السماور)

بوليا : شكراً لك ! سأحضر الحليب . (تخرج .)
تيتيريف (وجهه منتفخ بتأثير الشراب) : في طريقي عبر المطبخ أوقفتني ستيبانيدا وطلبت الي قائلة : «يا سيدي المحترم ! احمل السماور ! وسأعطيك لقاء ذلك شيئاً من الخيار المخلل ومرق المخلل حين تحتاج اليه . . .» . فاستجبت للاغراء ، أنا الشره .
تاتيانا : هل حضرت صلاة الغروب ؟
تيتيريف : كلا ، لم أذهب هذا اليوم . كنت أعاني صداعاً . كيف حالك ، أتشعرين بتحسن ؟
تاتيانا : لا بأس ، لك شكري . يطرحون علي هذا السؤال عشرين مرة يومياً . سأشعر بمزيد من التحسن لو كان هذا البيت أقل ضجيجاً . فهذا الهرج والمرج يثيرانني

قليلاً – فالجميع يصرخــون ويتراكضون . ووالدي يعنف نيل على الدوام ، وأمي تطلــق زفراتهـــا دون توقف ، وأنا أستلقي هنا أراقبهم جميعاً ، عاجزة عن رؤية أي معنى لما يسمونه – جميعهم – الحياة .

تيتيريف : كلا ، هذا شأن يثير الفضول ! أنا شخص غريب ، ولا أشارك في شؤون هذه الأرض – بل أعيش بدافع من الفضول – ومع هذا أجد أن الحياة طريفة جداً .

تاتيانا : أنت فيما أعرف لا تطالبها بشيء . فما هي الطرافة التي تجدها هنا ؟

تيتيريف : الناس يضبطون أنفسهم لغرض ان يحيوا . وأنا أحب أن أسمع الموسيقيين في المسرح وهم يضبطون أبواقهم وكماناتهم . عندها تلتقطين نغمات صائبـــة كثيرة – وأحياناً جملة موسيقية لطيفة . وتستبد بـك رغبة متسارعة في معرفة – أية معزوفة سيلعبون ، ومن هو العازف المنفرد ، وما هي المقطوعة الموسيقية . والشيء ذاته يحدث هنا – فالناس يضبطون أنفسهم .

تاتيانا : قد يكون هذا صحيحاً على المسرح . يدخل قائـــــد الفرقة ، يلوّح بعصاه ، فيبدأ الموسيقيون يعزفون شيئاً قديماً مبتذلاً خالياً مــن كل شعور ، وبصورة سيئة . أما هنا ؟ . . . أمــا هؤلاء . . . فمـــا الذي يستطيعون أن يقدموا ؟ لا أعرف .

تيتيريف : سيقدمون نغماً صارخا كما أظن . . .

تاتيانا : سنرى . (صمت . يشعل تيتيريف غليونه .) لماذا تدخن الغليون بدلاً من الدخينة ؟

تيتيريف : هذا أنسب لي . أني جوّاب أفاق . أقضي معظم أيام السنة في الترحال . وعما قريب سأرحل – حالما يحلّ الشتاء .

تاتيانا : الى أين ؟

تيتيريف : لست أدري . فالأمر سيان .

تاتيانا : ستتجمد حتى الموت في مكان ما حين تكون سكران .

تيتيريف : أنا لا أشرب مطلقاً حين أنطلق على الطريق . وماذا لو تجمدت حتى الموت ؟ من الأفضل أن يتجمد المرء وهو يسير من أن يتعفن وهو قابع لا يأتي حركة .

تاتيانا : أنت تلمّح اليّ ، أليس كذلك ؟

تيتيريف (يثب مهلوعاً) يا الهي الطيب ، أبداً ! كيف يخطر لك هذا في بال ! فلست وحشاً !

تاتيانا (باسمة) : لا يقلقنّك الأمر . فلست أبالي . لقد فقدت الاحساس بالألم . (في مرارة .) الجميع يعرفون ذلك . نيل ، وبوليا ، ويلينا ، وماشا – يتصرفون جميعاً كالأغنياء الذين يلتهمون النُقل دون أن يلقوا بالاً الى أحاسيس المستعطي الذي يراقبهم .

تيتيريف (يقطب وجهه ويتحدث من خلال أسنانه المطبقة) : لماذا تهينين نفسك على هذا المنوال ؟ يجب ان تحترمي نفسك . . .

تاتيانا : حسناً . . . فلنتحدث في موضوع آخر ! (صمت) حدثني عن نفسك قليلاً . فأنت لا تتحدث أبداً عن نفسك . لماذا ؟

تيتيريف : الموضوع كبير جداً ، ولكنه لا يثير اهتماماً .

تاتيانا : بالعكس ! أخبرني ما يلـــــي : لماذا اخترت هذا الأسلوب الغريب في الحياة ؟ أنت تبدو لي ذكيـــــاً موهوباً . فما الذي أصابك في الحياة وجعلـــك على هذا الشكل ؟

تيتيريف (مكشراً عن اسنانه) : ما الذي أصابني ؟ انها قصة طويلة مملة لو شئت ان أسردها عليك بكلماتـــــــي الخاصة .

خرجت افتش عن فرحتي
فعدت بلا فرحة أو حذاء
تعرّيت ، والله ، من بدلتي
ومن كلّ امنية أو رجاء

هذا التوضيح جميل جداً بالنسبة الى حالتي رغـــم قصره . ويجب أن أضيف ان الانسب في روسيـــا ، والاهدأ ، بالنسبة للمرء ان يكون سكيــراً جوابَ آفاقٍ ، عن ان يكون صاحياً شريفاً مجتهداً . (يدخـل بيوتر ونيل .) وحدهم القساة الأصلاب كالسيـــف يستطيعون أن يشقوا لأنفسهم دربــاً في هذه الحياة . آه ، يا نيل ! أين كنت ؟

نيل : في المحطة . لقد ربحت لتوّي معركة وحققتُ انتصاراً باهراً . ان رئيسنا الأحمق . . .

بيوتر : أعتقد انهم سوف يطردونك من العمل عما قريب . . .

نيل : فأجد لنفسي عملاً آخر .

تاتيانا : إسمع ، يا بيوتر . لقد تشاجر شيشكين مـــع

بروخوروف ، ولم يجرؤ أن يخبرك بذلك بنفسه و . . .

بيوتر (مغتاظاً) : اللعنة ! شيء فظيع ! ذلك يضعني في موقف صعب امام بروخوروف الآن . ويحرمني أخيراً امكانية مساعدة زميل آخر .

نيل : لا تغضب قبل الاوان ! فأنت تجهل من هو على حق ومن هو على خطأ ؟

بيوتر : أنا عارف !

تاتيانا : شيشكين لا يعجبه ان يكون بروخوروف معادياً للسامية .

نيل (ضاحكاً) : آه ياله من ديك عزيز مشاكس !

بيوتر : هذا يلائمك بالطبع . فأنت ، أيضاً ، لا تحترم وجهات نظر الاشخاص الآخرين . يا لكم من متوحشين !

نيل : مهلاً ! هل تستطيع أنت نفسك احترام المتعصبين ضد اليهود ؟

بيوتر : أنا ليس لي أي حق لآخذ بتلابيب أي انسان بسبب من أفكاره ، مهما يكن شكل هذه الأفكار !

نيل : أما أنا فآخذ بها . . .

تيتيريف (يجيل بصره بهدوء في الطرفين المتنازعين) : هيا ، وافعل ذلك !

بيوتر : من . . . من أعطاك هذا الحق ؟

نيل : الحقوق لا تعطى ، بل تؤخذ . على الانسان أن ينتزع حقوقه بنفسه اذا لم يكن يريد أن ينسحق تحت عبء الالتزامات . . .

بيوتر : ولكن اسمع ! . . .

تاتيانا (في سأم) : يبدأ الشجار اذن ! يا لهذا الشجار الذي لا نهاية له ! أفلا تمجّانه ؟

بيوتر (يكبح جماح نفسه) : آسف ، فلن أفعل ذلك ثانية ! حقاً فلقد وضعني شيشكين في . . .

تاتيانا : أعرف . فهو أحمق !

نيل : انه فتى رائع ! لن يسمح لأحد أن يدوس على أصابع رجليه ، ولكنه أول من يفعل ذلك بالآخرين ايّاً كانوا ! ما أروع ان يملك المرء هذا القدر من الكرامة الانسانية . . .

تاتيانا : تقصد هذا القدر من التصرف الصبياني ؟

نيل : كلا . أقصد ما قلت . ولكن ذلك شيء رائع ، حتى ان كان تصرفاً صبيانياً !

بيوتر : سخف .

نيل : لا . عندما يلقي امرؤ لآخر لقمة خبز لديه لمجرد أن اليد التي نفحته بها لم تكن على مزاجه . . .

بيوتر : من يفعل ذلك لا يعضه الجوع بنابه . أعرف أنك ستنكر ذلك . فأنت نفسك مثله — صبياني ايضاً همك الدائم ان تظهر لوالدنا انك لا تشعر نحوه باية ذرة من الاحترام . ففيم تفعل ذلك ؟

نيل : وفيم لا أفعل ذلك ؟

تيتيريف : يا ولدي ! الأصول تقضي أن يكذب الناس . . .

بيوتر : وما فائدة ذلك ؟ أخبرني .

نيل : لن يفهم أحدنا الآخر ، أنت وأنا . ففيم أخبرك ؟ كل ما

يقوله أبوك أو يفعله يقرفني .

بيوتر : قد يكون كذلك بالنسبة اليّ أيضاً ، غير أنني أكبح جماحي فلا أظهره ، أما أنت فتثير أعصابه دائماً . ونحن ندفع ثمن ذلك – أنا وشقيقتي . . .

تاتيانا : كفاكما ! هذا امر ممل !

(ينظر نيل اليها ، ويتجه الى المنضدة)

بيوتر : أيقلقك حديثنا ؟

تاتيانا : انه يضجرني ! فالشيء ذاته يتكرر ويتكرر !

(تدخل بوليا حاملة جرة فيها حليب ، ترى الابتسامة الحالمة على وجه نيل . تنظر الى المتفرجين وتقول)

بوليا : انظروا اليه . يا له من سعيد !

تيتيريف : لماذا تضحك ؟

نيل : كنت أتذكر لسعات اللسان التي جلدت الرئيس بها . ان حياتنا لمتعة !

تيتيريف : (في صوت خشن عميق) : آمين !

بيوتر (يهز كتفيه) : دهشة ! هل يولد المتفائلون عميانا أم ماذا ؟

نيل : ليس مهماً ان اكون متفائلاً او غير هذا ولكن العيش يعجبني ! (ينهض ويجوس أرض الغرفة .) متعة كبيرة أن تعيش على هذه الأرض !

تيتيريف : صحيح . هذا مثير للفضول !

بيوتر : ممثلان هزليان – اذا كنتما مخلصين في هذا !

نيل : أما أنت فـ . . . لا أعرف كيف أصفك ؟ أعرف – وهذا ليس سراً على أحد – أنك عاشق ، وأن مَنْ تهواها تهواك أيضاً . أفلا يكفي هذا ليعطيك الرغبة في الرقص والغناء ؟ أفلا يكفي هذا ليبعث فيك الشعور بالفرحة ؟ (تنظر بوليا في فخار الى الجميع من وراء السماور . تنقلب تاتيانا على الأريكة محاولة رؤية وجه نيل . يبتسم تيتيريف وهو ينفض الرماد عن غليونه .)

بيوتر : أنت تنسى شيئاً ما . اولاً : أن الطلاب غير مسموح لهم بالزواج ؛ ثانياً أني مضطر أن أخوض معركة ضارية مع والديّ ؛ وثالثاً . . .

نيل : يا الهي الطيب ! ما هذه الاقوال ؟ لم يبق أمامك غير شيء واحد ، أن تهرب ! أهرب الى الصحراء .

(تبتسم بوليا)

تاتيانا : انت تتساخف ، يا نيل !

نيل : أنت مخطئ ، يا بيوتر ! فالحياة شيء عظيم حتى اذا لم تكن عاشقاً ! حتى اذا كنت تسوق قاطرة خردة في ليلة خريفية تحت عاصف الريح والمطر – أو في الشتاء في عاصفة ثلجية مزمجرة ، والدنيا كلها عتمة ، والثلج يتكدس ويحجزك عن العالم . من المرهق ان تعمل في مثل هذه الليلة – هذا صعب وحتى خطر ! ومع هذا فان

لذلك سحره الخاص ! رغم كل شيء ! والشيء الوحيد الذي لا يحمل فتنة في نظري هو أن الخنازير من الحمقى واللصوص هم من يهيمن علي وعلى الناس الشرفاء الاخرين . لكن الحياة ليست في صالحهم بكاملها ! لسوف يندثرون . لسوف يختفون مثلما تختفي القروح من الجسد المعافى . ليس هنالك جدول حركة لا يقبل التغيير !

بيوتر : سمعت هذه الخطابات منك بما فيه الكفاية ! رويدك فترى ما تخبئ الحياة لك من جواب !

نيل : سأجعلها تجيبني الاجابة التي أطلبها . لا تحاول اخافتي ! أنا أقرب الى الحياة وأعرف أفضل منك أن الحياة صعبة ، وأنها أحياناً قاسية الى درجة رهيبة ، وأن قوة غاشمة فظة تسحق الناس سحقاً . أعرف هذا كله ، وهو لا يروق لي . انه يستثيرني ! لا أريد ذلك التنظيم للحياة ! أعرف ان الحياة أمر جادّ ، ولكنها غير منسقة . أعرف ان تنسيقها سيتطلب كل قواي وقدراتي . وأعرف أيضاً أني لست بطلاً – أنا لست أكثر من مجرد انسان شريف قوي . ومع هذا أقول : رويدك فحسب ! لسوف ننتصر في النهاية ! وستنصرف قوة روحي كلها الى اشباع رغبتي في القاء نفسي في اعماق خضم الحياة – أدفعها هنا وهناك ، أقولبها ، أساعد على شيء وأعرقل شيئاً آخر . . . هذه هي فرحة الحياة !

تيتيريف (يضحك ضحكة قصيرة) : هنا المعنى الاعمق

للعلم ! هنا مغزى الفلسفة كلها ! وأية فلسفة أخرى عليها اللعـ . . . نة !

يلينا (عند الباب) : فيم هذا الصراخ والتلويح بالأيدي ؟

نيل (يندفع صوبها) : ستفهمينني يا سيدتي ! كنت اغني الآن ترنيمة للحياة ! أخبريهم كم هي الحياة ممتعة !

بوليا (في عذوبة) : انها ممتعة !

يلينا : أهنالك من لديه ريبة في ذلك ؟

نيل (الى بوليا) : اواه ، يا صغيرتي الوديعة !

يلينا : هيا ، ممنوع الغزل في حضرتي !

بيوتر : وحده الشيطان يعرف ما أصابه ! لكأنه سكران . . .

(تلقي تاتيانا رأسها على مسند الكنبة وترفع يديها في بطء وتغطي وجهها بهما)

يلينا : لحظة ! كنتم تزمعون تناول الشاي ؟ وأنا جئت أسألكم أن تشربوه عندي . حسناً ، اذن ، سأشربه لديكم . فالجوُ لديكم لطيف هنا . (الى تيتيريف) أنت وحدك ، ايها الغراب العجوز الحكيم ، تبدو لي منقبضاً . فما الأمر ؟

تيتيريف : أنا مرح مثل الآخرين ، ولكني أحب أن أكون هادئاً حين أمرح وأكون صاخباً حين أحزن .

نيل : مثل جميع الكلاب الكبيرة الذكية الكئيبة .

يلينا : لم أرك مطلقاً مرحاً أو كئيباً – ولكن متفلسفاً

فقط . اسمعوا أيها السادة ، إسمعي يا تانيا – انـــه يعلمني الفلسفة ! البارحة قرأ عليّ محاضرة طويلة عما يسمى قانون الأساس الكافي . خسارة ! لقد نسيت الكلمات التي تعبر عن هذا القانون المدهش ! ما هـــي هذه الكلمات ؟

تيتيريف : (مبتسماً) لا يوجد شيء دون اساس لان الاساس يوجد . . .

يلينا : أتسمعون ؟ أنظروا الأشياء الحكيمة التي أتعلمهـا ! لا أظن أحداً منكم سمع أن هذا القانون يمثل – يمثل هي كلمة فلسفية حقيقية بالضبط ! يمثل شيئـــــاً مثل . . . مثل السن لأن له جذورا أربعة . ألست على صواب ؟

تيتيريف : لا أجرؤ أن أجادلك . . .

يلينا : تماماً ! حاول ذلك فحسب ! ان الجذر الأول ، أو لعله ليس الأول – هو الأساس الكافي لحضور – يعني المادة في الشكل . أنا مثلاً : أنا مادة إتخذت – ليس من دون أساس – شكل إمرأة ، ولكن – وهذه المرة من دون اي أساس – محرومة من الوجود . الوجود خالد ، لكن المادة في الشكل تظهر على الأرض ، ثـــم – تتلاشى ! ألست على حق ؟

تيتيريف : لا بأس ، ماشي . . .

يلينا : وخلاف ذلك أعرف أن هنالك أشياء مثـــل العلاقات السببية ، والمسلّمات والاستدلالات ، لكن ما هي هذه الأشياء هو أمر نسيته ! واذا لم أصبح صلعاء مـــن

هذه الحكمة كلها فانني سأصبح ذكية ! أما المشكلة الاكثر أهمية وحكمة في كل هذه الفلسفة فهي : لماذا تعلّمني الفلسفة ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف : أولاً ، لأنني أمتلئ سروراً حين أنظر إليك . . .

يلينا : أشكرك على ذلك ! ثانياً ربما من غير الممتع . . .

تيتيريف : ثانياً ، لأن المرء لا يكذب حينما يتفلسف ، فالفلسفة هي مجرد اختراع للمخيلة . . .

يلينا : لم أفهم شيئاً ! بالمناسبة ياتانيا ! كيف حالك ؟ (دون أن تنتظر جواباً) بيوتر . . . فاسيلييفيتش ، ماذا يضايقك ؟

بيوتر : نفسي .

نيل : وكل ما حولك ؟

يلينا : اسمعوا ، أشعر برغبة عارمة في الغناء ! لكم هو مؤسف أن اليوم هو السبت ، وأن صلاة الغروب لم تنته بعد ! (يدخل بيسيمينوف وأكولينا ايفانوفنا .) آه ، ها قد جاء ألتّقيّان ! انعمتما مساء !

بيسيمينوف (في جفوة) : مساءاً سعيداً . . .

أكولينا أيفانوفنا (بالنبرة ذاتها) : مساء سعيداً ، يا سيدتي ! لكنه سبق أن تبادلنا التحية هذا النهار .

يلينا : آه ، صحيح ! غاب ذلك عن بالي . . . وكيف . . . كيف كانت الكنيسة ؟ هل كانت حارة ؟

بيسيمينوف : نحن لا نذهب الى الكنيسة لنقيس درجة الحرارة .

يلينا (مرتبكة) : آه ، طبعاً . لكنني . . . ليس هذا ما قصدت . أردت أن أسأل إن كانت مزدحمة بالمصلين ؟

أكولينا إيفانوفنا : لم نحص عدد الناس ، يا سيدتي .

بوليا (إلى بيسيمينوف) : هل تريدان شاياً ؟

بيسيمينوف : سنتعشى أولاً . إذهبي وهيئي لنا شيئاً ، أيتها الأم . (تخرج أكولينا إيفانوفنا وهي تنخر من انفها . الجميع صامتون . تنهض تاتيانا وتساعدها يلينا في الوصول إلى المنضدة . يأخذ نيل مكان تاتيانا على الأريكة . بيوتر يراوح في الغرفة ويغادي . تيتيريف وقد جلس إلى البيان يراقب الجميع مبتسماً . بوليا أمام السماور . بيسيمينوف يجلس على الصندوق في الركن .) يدهشني كيف غدا الناس لصوصاً ! قبل فترة ، حين كنت والأم في طريقنا الى الكنيسة ، وضعت لوحاً من الخشب عند البوابة – فوق الوحل . وحينما رجعنا كان اللوح قد إختفى . سرقه أحد اللصوص . لقد تفشى الفساد في الناس . (صمت .) في الماضي كان عدد اللصوص أقل – وكانت السرقات تقع على الطرق العامة حيث الناس كانوا اكبر نفوساً . فكانوا يخجلون أن يثقلوا ضمائرهم بأشياء تافهة . (صوت غناء وعزف على الاكورديون يدفان من الشارع .) أتسمعون ؟ غناء . عشية السبت ، وهم يغنون . (يقترب الغناء ويتميز فيه صوتان .) لا ريبة أنهم العمال . أسرعوا إلى الحانة فور الانتهاء من عملهم ، لينفقوا اموالهم على الخمر ، وهؤلاء هم يمزقون حناجرهم . (يُسمع الغناء

قرب النافذة ، يقرّب نيل وجهه من زجاجها ويتطلّع إلى الشارع .) سيعيشون على هذا الغرار عاماً آخر – او عامين في أبعد الحدود ، وينتهي كل شيء ! ويغدون متشردين ، او لصوصاً . . .

نيل : يبدو أنه بيرتشيخين . . .

أكولينا ايفانوفنا (عند الباب) : العشاء جاهز ، أيها الأب .

بيسيمينوف (ناهضاً) : بيرتشيخين واحد آخر من أولئك الذين لا فائدة تُرجَى منهم . (يخرج)

يلينا (تشيعه بنظراتها) : تناول الشاي في غرفتي اكثر راحة . . .

نيل : شيء ممتع حديثك مع الشيوخ .

يلينا : أنا . . . هو يربكني . فهو لا يحبني ، وهذا شيء مزعج . . . بل مؤلم ! وفيم تراه لا يحبني ؟

بيوتر : حقاً هو طيب القلب ، ولكنه عزيز النفس جداً .

نيل : وجشع نوعاً ما وخبيث نوعاً ما . . .

بوليا : صه . لا ينبغي أن تقولوا مثل هذا الكلام بحق انسان خلف ظهره . هذا لا يليق !

نيل : كلا . لا يليق أن يكون المرء جشعاً .

تاتيانا (في جفوة) : أقترح أن نترك بحث هذا الموضوع . قد يأتي والدي في أية لحظة . وهو لم يعنّف أحداً طوال الأيام الثلاثة الأخيرة . . كان يحاول أن يكون لطيفاً مع الجميع . . .

بيوتر : وذلك ليس سهلاً عليه . . .

تاتيانا : يجب أن نقدّر ذلك : فهو شيخ . وليست غلطته

إن كان وُلد قبلنا بسنوات وهو لا يرى الأمور مثلما نراها نحن . (في غضب) يا للناس من قساة ! لكم نحن قساة أجفياء يعلموننا أن يحب أحدنا الآخر ، ويقولون لنا : كونوا ودعاء ولطفاء . . .

نيل (يحاكي نبرة صوتها) : كيما يركبوا ظهورنا ويسوقونا . . .

(تنفجر يلينا ضحكاً . بوليا وتيتيريف يبتسمان . بيوتر يتجه إلى نيل كمن يريد أن يقول شيئاً . تهز تاتيانا رأسها مؤنبة)

بيسيمينوف (يدخل ويلقي نظرة عدوانية إلى يلينا) : بيلاغيا ! والدك في المطبخ . إذهبي واخبريه أن . . . أن . . . يعود في وقت آخر ، حينما يكون . . . . يكون . . .صاحياً . هكذا ! قولي له أن يمضي إلى البيت . . . او ما شابه !

(تخرج بوليا – ويتبعها نيل)

بيسيمينوف (في اثر نيل) : حم . . حم . . وأنت اذهب بدورك . والق نظرة على . . . حميك المقبل . . . و . . . (يصمت فجأة ، ويجلس إلى المنضدة .) فيم هذا الصمت ؟ أرى الجميع يغلقون افواههم بمجرد ظهوري في الغرفة .

تاتيانا : نحن لا نتحدث كثيراً في غيابك أيضاً .

بيسيمينوف (يشزر يلينا بنظره) : فيمَ كنتم تضحكون ؟

بيوتر : لا شيء . . . على وجه الخصوص . إن نيــل . . .

بيسيمينوف : نيل ! إنه سبب كل شيء . كنت أعرف هذا .

تاتيانا : هل أصبّ لك قدحاً من الشاي ؟

بيسيمينوف : أجل .

يلينا : دعيني ، يا تانيا ، أفعل ذلك . . .

بيسيمينوف : لا تزعجي نفسك . ستفعل ذلك ابنتي .

بيوتر : لا أرى فارقاً فيمن يصب لك الشاي . فتانيا معتلــة الصحة .

بيسيمينوف : أنا لا أسألك رأيك في هذا الموضوع . إذا كان الغرباء أقرب إليك من أهلك . . .

بيوتر : أبتاه ! ألا تخجل من نفسك ؟

تاتيانا : ها قد بدأنا ! بيوتر ، يفضل أن تمسك لسانـك .

يلينا (تغتصب ابتسامة) : أهنالك مبرر لكل هذا . . .

(يفتح الباب على مصراعيه ويدخل بيرتشيخين ثمِلاً قليلاً)

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! لقد جئت أنـــا إلى هنا . . . انت خرجتَ من هناك . . . وها أنا أتبعـك الى هنا . . .

بيسيمينوف (دون أن ينظر إليه) : حسناً ، إجلس ، طالمـا أنك هنا . واشرب الشاي .

بيرتشيغين : أنا لا أريد شاياً ! إشربه لصحتك . جئت للحديث معك .

بيسيمينوف : حديث ؟ هراء !

بيرتشيغين : هُراء ، أليس كذلك ؟ (يضحك) أنت رجل غريب ! (يدخل نيل ويقف مستنداً الى الخوان محدقاً في بيسيمينوف في قسوة) منذ أربعة أيام وأنا أفكر في المجيء اليك . . . . و . . . . حسناً ، هأنذا هنا !

بيسيمينوف : طيب اذن . . .

بيرتشيغين : لا ، ليس طيباً ! يا فاسيلي فاسيلييفيتش ! انت رجل ذكي ، وكذا أنت ثري ، ولكن . . . ولكنني جئت قاصداً ضميرك !

بيوتر (يقترب من نيل ويتحدث في صوت خفيض) لماذا تركته يدخل إلى هنا ؟

نيل : دعه وشأنه ! فهذا ليس من شأنك .

بيوتر : أنت دائماً تثير المشاكل .

بيرتشيغين (يطغى صوته على صوت بيوتر) : أنت رجل شيخ ايضاً ، أعرفك منذ ز . . . زمان طويل !

بيسيمينوف (غاضباً) : ماذا تبغي مني ؟

بيرتشيغين : أخبرني ، لماذا طردتني من بيتك منذ أيام ؟ لقد فكرت وفكرت ولكني لم أفهم لماذا . فاخبرني لماذا ، يا أخي . لقد جئت إليك من دون حقد – بل بحب يعمر قلبي .

بيسيمينوف : وضباب في رأسك !

تاتيانا : بيوتر ، ساعدني على النهوض – كلا ، ادع بوليا .
(يخرج بيوتر)

بيرتشيخين : خذ بوليا مثلاً . ابنتي العزيزة ، ذلك الطير الطاهر . أبسببها طردتني ؟ أليس كذلك ؟ لأنها أخذت من تاتيانا فتاها ؟

تاتيانا : يا للحماقة ! يا للوضاعة !

بيسيمينوف (ينهض على مهلة) : حذار ، يا بيرتشيخين ! لو قلت ذلك ثانية فلسوف . . .

يلينا (الى نيل في صوت خافت) : أخرجه ! سيتشاجران .

نيل : لا أريد اخراجه .

بيرتشيخين : أنت لن تطردني مرة أخرى ، يا فاسيلي فاسيليييفيتش ! لن يكون لذلك سبب . بوليا فتاة طيبة وأنا أحبها ، غير انني لا أستحسن ما فعلت – لا ، يا أخي ، لا أستحسن لماذا أخذت شيئاً يخص سواها ؟ هذا أمر رديء . . .

تاتيانا : لينا ، انني عائدة الى غرفتي . (تساعدها يلينا وتمسك بذراعها . يمران بجوار نيل فتقول تاتيانا له في صوت خافت) اخجل من نفسك ! أخرجه !

بيسيمينوف (يتمالك نفسه جاهداً) : اخرس ، يا بيرتشيخين ! اجلس واخرس ، وان لم تستطع ذلك فإذهب الى بيتك . . .

(تدخل بوليا يتبعها بيوتر .)

بيوتر (الى بوليا) : انتظري ، تمالكي نفسك . . . ارجوك !
بوليا : فاسيلي فاسيلييفيتش ! لماذا طردت والدي آخر مرة كان هنا ؟

(يشخص بيسيمينوف صامتاً اليها في صرامة ثم يجول بأنظاره بين الحاضرين)

بيرتشيخين (يهز أصبعه) : صمتاً ، يا ابنتي ! ولا كلمة ! كان يجب أن تفهمي . لقد تناولت تاتيانا السم ، لماذا فعلت هذا ؟ . . . أترين ؟ أترى يا فاسيلي فاسيلييفيتش ؟ — اني أدين الجميع ها هنا كما ينبغى ويجب ! كما يقتضي الضمير والحقيقة وبكل بساطة . . .
بوليا : رويدك ، يا أبي .
بيوتر : لحظة يا بوليا . . .
نيل : لا تتدخل أنت .
بيسيمينوف : أما أنت ، يا بوليا ، فأنت وقحة . . .
بيرتشيخين : هي ؟ أوه ، لا ، هي . . .
بيسيمينوف : اخرس انت ! يبدو أنني أضعت النهى . منزل مَنْ هذا المنزل على أية حال ؟ من هو السيد هنا ؟ من يقول هذا خطأ وهذا صواب ؟
بيرتشيخين : أنا ! سأدين كل شيء . . . الجميع ، كلاً حسب دوره ، لا تأخذي ما هو ليس لك . هذا اولاً ! واذا أخذته يجب أن ترديه . هذا ثانياً !

بيوتر (الى بيرتشيخين) : اسمع ! كفّ عن الثرثرة وتعال الى غرفتي . . .

بيرتشيخين : أنا لا أحبك ، يا بيوتر ! أنت فتى فارغ . ومتكبر جداً . ولا تعرف شيئاً أيضاً . ما هي شبكة المجاري ؟ آها ! كانوا يستوضحونني يا اخ . . . (يشده بيوتر من ردنه) ارفع يديك عني ! لا تلمسني !

نيل (الى بيوتر) : لا تلمسه . دعه وشأنه !

بيسيمينوف (الى نيل) : ماذا تفعل هنا ؟ تؤجج البغضاء ؟ ها ؟

نيل : أريد أن أعرف القصد من هذا كله . ما هو ذنب بيرتشيخين ؟ لماذا طردته ؟ وما علاقة بوليا بالامر ؟

بيسيمينوف : هل تستجوبني ؟

نيل : وماذا اذا فعلت ذلك ؟ أنت كائن بشري مثلي .

بيسيمينوف (غاضباً) : لا ، أنت لست كائناً بشرياً ، أنت . . . أنت سم ! أنت وحش !

بيرتشيخين : هس ! فلنتكلم في هدوء ، وفي عدالة . . .

بيسيمينوف (الى بوليا) : وأنت ، أنت ، أيتها الحقودة . . . المتسوّلة !

نيل (من خلال أسنانه) :كفّ عن الصراخ ، أنت !

بيسيمينوف : ما هذا ؟ أخرج أيها الثعبان ! تنقلب عليّ أنا الذي أطعمك من عرق جبيني . . .

تاتيانا (من غرفتها) : ابتاه ! يا بابا !

بيوتر (الى نيل) : أرأيت ؟ هل حصلت على ما كنت تريد ؟ تبّاً لك ! اخجل من نفسك !

بوليا (بصوت خافت) : حذار أن تصرخ في وجهي ! فأنا لست أمة عندك . ليس بوسعك ان تهين الجميع . أخبرني لماذا طردت أبي من البيت ؟

نيل (في هدوء) : أخبرني أنا الآخر . فهذا ليس بيت مجانين . وعلى المرء ههنا ان يجيب عن أفعاله .

بيسيمينوف (في مزيد من الهدوء ، متمالكاً نفسه) : أخرج ، يا نيل ! أخرج قبل أن يقع خطْب ما . لا تنس . . . أنا مَنْ أطعمك . أنا من ربيتك .

نيل : لا تؤنبني بلقمة خبزك ! لقد دفعت لك من عملي ثمن كل ما أكلت .

بيسيمينوف : لقد أكلت روحي ، أيها الجاحد !

بوليا (تمسك يد نيل) فلنخرج من هنا !

بيسيمينوف : اذهبي . . . ازحفي أيتها الأفعي . أنت الملومة . كل ما حدث أنت مسؤولة عنه . لقد لدغت ابنتي . والآن تأخذينه يا ملعونة . بسببك أنت صارت ابنتي . . .

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش ! على رسلك ! بعدالة !

تاتيانا (تصرخ) : هذا ليس صحيحاً ، يا أبتاه ! بيوتر ، لماذا تصمت ؟ (تظهر عند باب غرفتها وتترنح إلى داخل الغرفة باسطة ذراعيها في وهن) لا تسمح بهذا يا بيوتر ! يا إلهي الطيب ! تيرينتي خريسانفوفيتش ! أخبرهم . . . قل لهم . . . نيل ! بوليا ! بحق الله ، اخرجا ! إذهبا ! لماذا يحدث كل هذا . . . (تمتلىء الغرفة بحركات مضطربة . ينهض تيتيريف في بطء

مكشراً عن أسنانه . يتراجع بيسيمينوف أمام إبنته . يمسك بها بيوتر من ذراعها يساعدها ويتطلع حواليه مذهولاً)

بوليا : تعال !

نيل : حسناً ! (إلى بيسيمينوف) نحن ذاهبان . إذن ! يؤسفني أن ينتهي الأمر بكل هذا الضجيج .

بيسيمينوف : أخرج ! أخرج ! وخذها معك !

نيل : سأذهب ، ولن أعود .

بوليا (في صوت عال مرتجف) : هل يعقل ان تتّهمني بمثل هذا الأمر وتلومني بسبب تانيا ؟ هل أنا مسؤولة ! أنت عديم الحياء . . .

بيسيمينوف (ثائراً) : أأنت ذاهبة ؟ !

نيل : لا تصرخ !

بيرتشيخين : لا تغضبا ، يا ولديّ . يجب أن نكون حليمين . . .

بوليا : وداعاً ، تعال ، يا أبتاه !

نيل (الى بيرتشيخين) : هيا بنا !

بيرتشيخين : لا ، لا أريد أن أذهب معكما ! أنا لي طريقي . . . أنا أسير لحالي . وحيداً . تيرينتي ، اني أقف وحيداً ! ليس لي ضلع في هذا الأمر .

تيتيريف : هيا إلى غرفتي .

بوليا : تعال ، تعال قبل أن تُطرد من جديد .

بيرتشيخين : لا ، لن أذهب . تيرينتي ، لا مكان لي بينهم . أنا أفهم . . .

بيوتر (الى نيل) : إذهبا إذن . . . اللعنة عليكما !
نيل : أنا ذاهب . . . وداعاً . . . ولكنك . . . يا لـــك من . . .
بوليا : نحن ذاهبان . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف (يصيح في إثرهما) : ستعودان . . . ستعودان زاحفين !
بيوتر : كفى ، يا أبتاه . كفى . . .
تاتيانا : ياأبتاه ! لا تصرخ ، يا عزيزي . . .
بيسيمينوف : إنتظرا . . . مهلاً . . .
بيرتشيخين : حسناً ، لقد ذهبا الآن ، عظيم ! فليذهبا !
بيسيمينوف : كان بودّي أن أقول لهما قبل الوداع رأيـي فيهما ، ذينك الشقيين ! أطعمتهما ، أسقيتهمـا . . (إلى بيرتشيخين) وأنت ، أنت أيها الشيطان العجوز ! أنت أيها الأحمق ! لقـد جئت إلى هنا وبدأت ثرثرتك . . . وراء ماذا تسعى ؟ وراء ماذا ، أنـا أسألك ؟
بيوتر : كفى ، يا أبي !
بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش ! لا تصرخ في وجهـي . أنا أحترمك ، أيها الرجل الغريب ! أنا أحمق ، هذا صحيح ، ولكني أفهم مَنْ يمضي إلى أين . . .
بيسيمينوف : (يتهالك على الأريكة) : لقد تاهت أفكاري .

أنا لا أفهم أمراً . ماذا حدث ؟ هذا يشبه حريق مفاجيء في صيف قائظ . . . لقد ذهب أحدهم . . . قائلاً إنه لن يعود . يقولها بكل بساطة ! هكذا . . . لا ، لا أستطيع أن أصدقه . . .

تيتيريف (الى بيرتشيخين) : فيم وقوفك هنا ؟ وفيم تتكلم ؟

بيرتشيخين : كيما أوضح الامور . طريقتي بسيطة في النظر الى الأمور يا أخ . . . واحد إثنان ! وهذا كل شيء . إنها إبنتي ، أليست كذلك ؟ حسناً جداً . هذا يعني أنها ملزمة . . . (يصمت فجأة) كنت أباً سيئاً بالنسبة إليها ، فهي ليست ملزمة إذن . فلتحيا عمرها كما يحلو لها ! أما تانيا فأشعر بالاسف من أجلها . أشعر بالأسف من اجلك ياتانيا ! أشعر بالأسف من أجلكم جميعاً يا إخوان ! يا للاسف ! اذا أردتم الحقيقة فأنتم جميعاً حمقى !

بيسيمينوف : إخرس أنت . . .

بيوتر : هل ذهبت يلينا نيقولاييفنا ، يا تانيا ؟

يلينا (من غرفة تاتيانا) : أنا هنا ! إني أهيّيء الدواء .

بيسيمينوف : رأسي في دوامة . لا أفهم شيئاً من شيء . أذهب نيل حقاً على هذا الغِرار ؟

أكولينا ايفانوفنا (تدخل مضطربة) : ماذا حدث ؟ نيل وبيلاغيا في المطبخ . . .كنت في المخزن . . .

بيسيمينوف : هل ذهبا ؟

أكولينا ايفانوفنا : كلا ، فهما يدعوان بيرتشيخين . تقول

بيلاغيا : أخبري أبي . . . وترتجف شفتاها . . . ونيل يزمجر مثل كلب غاضب . ماذا حدث ؟

بيسيمينوف (ناهضاً) : سأذهب الآن إليهما . . .

بيوتر : لا تذهب ، يا أبتاه ! لا تفعل ذلك .

تاتيانا : أبتاه ، أرجوك لا تفعل !

بيسيمينوف : لا أفعل ماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا : ما الأمر ؟

بيسيمينوف : أتفهمين . . . نيل راحل . دون رجعة .

بيوتر : وماذا في هذا ؟ إنه يرحل . جيّد جداً ! فيم تحتاجه ؟ لسوف يتزوج . يريد أن يعيش في أسرة خاصة به .

بيسيمينوف : خاصـــة به ! من أنا إذن ، هل أنا غريب بالنسبة إليه ؟

أكولينا ايفانوفنا : لماذا تنفعل ، أيها الأب ! ألله معه ! ليذهب . . . ان لدينا ولدينـــا نرعاهمـــا . (الى بيرتشيخين) ماذا تنتظر ؟ اذهب إليهما !

بيرتشيخين : طريقهما ليست طريقي .

بيسيمينوف : كلاّ . . . ليس الأمر في هذا . فليرحل إن كان يبغي الرحيل ولكن أرأيتموه كيف يرحل ؟ كيف ينظر اليّ ؟

(تخرج يلينا من غرفة تاتيانا)

تيتيريف (يمسك بيرتشيخين من ذراعه ويقوده ناحية الباب) : هيا بنا نشرب كأساً ، أنت وأنا .

برتشيخين : هيا بنا يا مزمار الله ! انت جاد حقاً . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف : كنت أعرف أنه سيرحل عنا ذات يوم ، لكن أيرحل المرء بهذه الطريقة ؟ أما هي . . . هذه . . . فكم صرخت ! تلك ألفتاة الخادمة الحقيرة ! سأذهب الآن لألقّنهما . . .

أكولينا ايفانوفنا : كفى ! دعهما ، أيها ، الأب ! فهما غريبان عنا ! فيم تشغل نفسك بهما ؟ لقد ذهبا - وانتهى الأمر !

يلينا (تخاطب بيوتر في رقة) : تعال معي .

تاتيانا (الى يلينا) : وأنا أيضاً . خذيني معك !

يلينا : تعالي . . . هيا بنا .

بيسيمينوف (وقد سمع دعوتها) : إلى أين ؟

يلينا : إلى غرفتي . . .

بيسيمينوف : من دعوت ؟ بيوتر ؟

يلينا : نعم . . . وتانيا أيضاً . . .

بيسيمينوف : تانيا لا دخل لها ! أما بيوتر فلا حاجة له للذهاب اليك !

بيوتر : لكن ، يا والدي ، أنا لست طفلاً . سأذهب أو لا أذهب ، حسبما أنا . . .

بيسيمينوف : أنت لن تذهب !

أكولينا ايفانوفنا : يا بيتيا ! لا تعانـد والدك . إسمع ! لا تعانده . . .

يلينا (ثائرة) : عن إذنك ، يا فاسيلي فاسيلييفيتش ! . . .

بيسيمينوف : لا ، بل أنا أطلب عفوك . . . حتى ولو كنتم من المثقفين ، ولو كنتم فقدتم كل وازع مـن ضمير ، وكل إحترام لأحد . . .

تاتيانا (في صوت هستيري) : أبتاه ! كفى !

بيسيمينوف : إمسكي لسانك ! إذا رسنـــك ليس في يدك فاسكتي . . . مهلاً ، إلى أين تذهبين ؟

(تتجه يلينا ناحية الباب)

بيوتر (يسرع وراءها ويمسك يدها) : إنتظري ! لحظـــة ! ينبغي أن نوضح الأمر . . . ألآن . . . وفي الحال !

بيسيمينوف : ينبغي أن تسمعوني . . . إعملوا معروفـــاً واسمعوني مرة . أعطوني فرصــــة لأفهم ما يجري ؟ (يدخل بيرتشيخين مرحاً مبتسماً يتبعـه تيتيريف وهو يبتسم أيضاً . يقفان عند الباب ويتبادلان النظرات . يغمز بيرتشيخين ناحيـــة بيسيمينوف ويلوح بيده في إستخفاف) الكل ينصرفون على مزاجهم ! ولا احد منهـم يشرح سبب ما يفعل . . . ينصرفـون عبثـاً بصورة مؤلمة ومشوهة ! إلى أين بوسعك ان تذهب يا بيوتر ! أنت . . . من أنت ؟ كيف تريـــد أن تعيش ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟ (أكولينا ايفانوفنا تشهق في هدوء .

يقف بيوتر ويلينا وتاتيانـــا جنباً إلى جنب مشكلين جماعة متكاتفة ازاء بيسيمينوف ، وحين يقول : «إلى أين بوسعك أن تذهب» تبتعد تاتيانـــا ذاهبـــة إلى المنضدة حيث وقفت أمهـــا . يومئ بيرتشيخين إلى تيتيريف – يهز رأسه ويلوح بيديه كما لوكان يطرد سرباً من العصافير .) إن لي الحق أن أستوضح . فما برحت أنت صغيراً أحمق ! طوال ثمانية وخمسين عاماً ظللت أنهك قواي في سبيل ولديّ . . .

بيوتر : سمعت هذا من قبل ، يا أبي . مائة مرة . . .

بيسيمينوف : كفى ، إخرس !

أكولينا ايفانوفنا : آه ، بيتيا ! بيتيا !

تاتيانا : أواه يا أماه . . . أنتِ لا تفهمين شيئاً !

(تهز أكولينا إيفانوفنا رأسها)

بيسيمينوف : ولا كلمة ! ماذا بوسعـــــك أن تقول؟ ماذا بوسعك أن تستند إليه ؟ لا شيء !

بيوتر : أنت تعذّبني ، يا أبي . ماذا تبغـــــي مني ؟ ماذا تريد ؟

أكولينا ايفانوفنا (تصرخ فجأة) : مهلاً ! أنا أيضاً لي قلب يشعر . أنا أيضاً لي الحق الكلام ! يا ولدي الحبيب ! ماذا تفعل ؟ ماذا تريد أن تفعل ؟ إنّني أكلّمك أنت !

تاتيانا : هذا فظيع ! مثل منشار مثلوم . (إلى أمها .) أنت تمزقينني إرباً – جسداً وروحاً .

أكولينا ايفانوفنا : أمك . . . منشار مثلوم ؟ أمك ؟
بيسيمينوف : رويدك ، أيتها العجوز ! ها هو . . . دعيه يتكلم .
يلينا (الى بيوتر) : كفى اذن ! لم اعد احتمل المزيد بعد . سأرحل .
بيوتر : لحظة واحدة ، بربّك ! سيتّضح كل شيء حالاً .
يلينا : هذا مستشفى للمجانين ، و . . .
تيتيريف : إرحلي ، يايلينا نيقولاييفنـــا ! فليذهبوا إلى الجحيم . . . جميعهم !
بيسيمينوف : أنت أيها السيد – أنت . . .
تاتيانا : ألن ينتهي هذا ؟ إذهب ، يا بيوتر !
بيوتر (في صوت يشبه صرخة) : أبتاه ! أنظر ! أماه ! هذه هي عروستي !

(صمت . تنصب العيون على بيوتر . ثم تهز أكولينا إيفانوفنا يديها وتنظر في رعب إلى زوجها . يميـــل بيسيمينوف إلى الوراء بكل جسده فكأن أحداً دفعه ، ويطرق برأسه عـــلى صدره . تطلق تاتيانا زفرة عميقة وتخطو في تؤدة ناحيـــة البيان ، وقد تهاوت ذراعاها إلى جانبيها)

تيتيريف (بصوت خافت) : اختار اللحظة المناسبة .
بيرتشيخين (يخطو متقدمـــا) : هذا كل شيء إذن ! هذا هو الأمر . ألطيور كلها تطير ! هيا ، أيها الفتيان ! طيروا من أقفاصكم كالطيور في عيد العذراء !

يلينا (تخلّص يدها من قبضة بيوتر) : دعني ! فأنا لا أطيق . . .

بيوتر (مهمهماً) : وضح كل شيء الآن . وفوراً بشكل نهائي .

بيسيمينوف (ينحني أمام ولده) : شكراً لك ، يا بنيّ ، على هذا النبأ الطيب !

أكولينا إيفانوفنا (دامعة العينين) : أهلكت نفسك ، يا بيتينكا ! فهي ليست لك ندّاً .

بيرتشيخين : هي ؟ ليست ندّ لبيوتر ؟ ماذا تقولين ، أيتها العجوز ؟ ماذا يساوي هو ؟

بيسيمينوف (يخاطب يلينا في بطء) : شكراً لكِ أيضاً ، أيتها السيدة ! لقد انتهى الآن ! عليه ان يكمل دراسته ، . . . أما الآن . . . إنها براعة منك ! ولكني توقعت هذا الأمر. (في حقد .) تهانيّ على هذا الصيد ! يا بيتكا ! لن تنال بركتي ! وهكذا أقتنصته ، أليس كذلك ؟ تسللت واقتنصته ، أيتها القطة الملعونة !

يلينا : كيف تجرؤ !

بيوتر : أبتاه ! هل فقدت صوابك !

يلينا : كلّا ! لحظة ! أجل ، هذا صحيح ! أجل ، أنا أخذته منك بنفسي ! أنا بنفسي . . . وأنا بنفسي قلت له . . . أجل ، فعلت ذلك ! أنا التي عرضت عليه الزواج ! أتسمع هذا ، أيها البوم العجوز ؟ أتسمع ؟ أنا التي إنتزعته منكم ! شفقة عليه ! لقد عذبتموه ! أنتم لستم من البشر ، أنتم نوع من صدأ يأكل الناس ! كان حبكم هلاكاً بالنسبة اليه ! أنتم تظنون —

أواه ، وأنا أعلم ما تظنون ! – تظنون أني فعلت ذلك من أجلي ؟ حسناً ، ظنوا ما طابت لكم الظنون ! آه ! لكم أكرهكم !

تاتيانا : لينا ! لينا ! ماذا تقولين ؟

يلينا : إسمعوا ، قد لا يجمعنـــــا عقد زواج . . . لسوف يسعدك ذلك ، ها ؟ بلى ، هذا جائز جداً ! لا تذعر قبل الأوان ! لسوف أعيش معه وحسب – من دون عقـــد زواج . لكنني لن أعيده إليكم ، لن أعيده ! لن يكونوا بوسعكم أن تعذبوه من الآن فصاعداً ! لن يكون ذلك ! ابداً لن يعود إليكم ! أبداً ! أبداً !

تيتيريف : مرحى ، أيتها المرأة ، مرحى !

أكولينا ايفانوفنا : أيتها السموات الرحومة ! أيها الأب ، ماذا يحدث ؟ أيها الأب . . .

بيوتر (يدفع يلينا ناحية الباب) : إذهبي . هيا أذهبي .

(تخرج يلينا وتشدّ بيوتر وراءها .)

بيسيمينوف (يتطلع حواليه حائراً) : هكذا ؟ (بصوت مرتفع سريع .) نادوا الشرطة ! (يضرب الأرض بقدميـــه .) لتخرج هي من بيتي ! غداً بالذات ! تباً لها !

تاتيانا (تقترب من والدها) : أبتاه ! ما لك ؟

بيرتشيخين (مذهولاً عاجزاً عـــن الفهـــــم) : فاسيلـــــي فاسيلييفيتش ! عزيزي ! ما الأمر ؟ فيم صراخـــك ؟ يجب أن تفرح . . .

تاتيانا (تقترب من والدها) : **أصغ . . .**

بيسيمينوف : أنتِ ! أنتِ لا تزالين هنا ! لِمَ لا تذهبين أيضاً ؟
هيّا اذهبي أيضاً ! ليس هنالك مكان تذهبين اليه ؟
ليس هنالك من تذهبين معه ؟ أضعت فرصتك ، أليس
كذلك !

(إرتدّت تاتيانا عنه ، وأسرعت خطواتها إلى البيان . أكولينا ايفانوفنا – مرتبكة تدعو الى الرثاء – تندفع إليها)

برتشيخين : كفى يا فاسيلي فاسيلييفيتش ، فكرّ في الأمر !
لن يتابع بيوتر دراسته بعد الآن – فيم يفعل ذلك ؟
(يحدق بيسيمينوف في وجه برتشيخين ببلادة ويهز
رأسه .) لديه ما يكفي من المال يعيش به – لقد
إدخرته أنت . وزوجته ممتازة ، وهذا انت تصيح
وتزمجر ! ثب الى رشدك أيها العجوز الغريب !

(ينفجر تيتيريف ضاحكاً)

أكولينا ايفانوفنا (باكية) : تركونا جميعاً ! رحلوا جميعاً !

بيسيمينوف (يتطلع حواليه) : صمتاً ، يا أم ! لسوف
يعودان . لن يجرؤا على الذهاب ! وأين يذهبان ؟ (إلى
تيتيريف .) فيم تكشيرتك هذه ، أيها الطاعون

الملعون ؟ أخرج من بيتي أنت أيضاً ! غداً بالذات أخرج ! هنا عصابة كاملة منكم . . .

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش !

بيسيمينوف : أغرب عن وجهي ، أيها المتشرد البائس !

أكولينا ايفانوفنا : تانيا ! يا ابنتي المباركـــة ! يا ابنتي البائسة ! ماذا سيحدث ؟

بيسيمينوف : كنت تعرفين كل شيء ، يا إبنتـــي ! تعرفين ذلك من زمن طويل ولم تقولي عنه كلمـــة واحدة ! مؤامرة ضد أبيك ، أليس كذلك ؟ (تلوح على وجهه فجأة نظرة من الرعب) . أتعتقدين بأنه لن يهجرها — تلك المرأة ؟ يتزوج من مومس ! إبني أنا ! أوه ، اللعنة عليكم جميعاً ! يا لكم من بائسين ومفسدين !

تاتيانا : أتركوني ! لا تحملوني على ان أكره . . .

أكولينا ايفانوفنا : إبنتي الحبيبة ! يا إبنتي التعيسة ألحظ ! لقد عذبوك ! عذبونا جميعاً ، لماذا فعلوا ذلك ؟

بيسيمينوف : من فعل ذلك ؟ إنه ذلك الشقي السافل نيل ! هو الذي أفسد ولدنا ! وهو الذي أساء الى إبنتنا ! (يلمح تيتيريف واقفاً إلى جانب الخوان .) ماذا تفعل هنا ، أيها الصعلوك ؟ لماذا أنت باق هنا ؟ أخرج من بيتي !

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش ! ما ذنبه هو ؟ لقـــد فقدت صوابك أيها العجوز !

تيتيريف (في وقار) : لا تصرخ ، أيها العجوز ! ليس لديك

القدرة على ايقاف ما ينقضُ عليك . لكن ، لا تخف ، فلسوف يعود ولدك .

بيسيمينوف (في عجلة) : وكيف . . .كيف تعرف هذا ؟

تيتيريف : لن يتركك طويلاً . لقد ارتفع الى فوق بعض الوقت لأنهم جروه إلى هناك ولكنه سيهبط من جديد . وما أن تطويك المنية حتى يبدل حظيرتك هذه قليلاً ، وينقل الأثاث فيها ويعيش مثلما كنت أنت تعيش — هادئاً ، مرتاحاً ، عاقلاً .

بيرتشيخين (الى بيسيمينوف) : أرأيت ؟ يالك من رجل غريب سريع الغضب ! هو يرجو لك الخير ، ويقول كلمات لطيفة ليهدئك ، وأنت تصيح في وجهه ! انه رجل حكيم ، تيرينتي هذا ، يا أخ . . .

تيتيريف : لسوف يعيد ترتيب الأثاث ويعيش واثقاً أنه قام بواجبه جيداً تجاه الحياة والانسان . فلقد جبل على صورتك ومثالك .

بيرتشيخين : كقطرتين من الماء !

تيتيريف : يشبهك تماماً — فهو أحمق بقدر ما هو جبان .

بيرتشيخين (الى تيتيريف) : مهلاً ، ما هذا الذي تقول ؟

بيسيمينوف : واصل كلامك ولا تشتم . كيف تجرؤ على ذلك !

تيتيريف : سيغدو في وقته جشعاً ، قاسي القلب ، متغطرساً مثلك . (يحدّق بيرتشيخين في وجه تيتيريف متسائلاً ، محاولاً أن يستوعب ما إذا كان يؤاسي العجوز أم يشتمه . يبدو على وجه بيسيمينوف أيضاً عدم الفهم ،

ولكن حديث تيتيريف يثير إهتمامه) . ولسوف يكون بائساً في آخر الأمر مثلمـــا أنت بائس الآن . الحياة تسير قدماً ، أيها العجوز ، ومَن لا يستطيع مواكبتها سيجد نفسه وحيداً .

بيرتشيخين : هكذا إذن ! أتسمع ؟ ذلك يعني ان كل شيء هو كما ينبغي أن يكون ، وهذا أنت تشخر وتخور !

بيسيمينوف : اياك عني !

تيتيريف : وكذلك لن يرحموه ، ولدك المسكين البائس . لسوف يسألونه بكل صراحة في وجهه ، مثلما أنـــا أسألك الآن : من أجـــل ايّ شيء عشت ؟ وأي خير فعلت ؟ ولسوف يكون ، مثلـــك الآن ، عاجزاً عن الجواب .

بيسيمينوف : هكذا . . . ذلك ما قلتـــه الآن إذن . . . أنت دائماً تتحدث بطلاوة ! لكن ، فتش في روحك ، فماذا أنت واجد فيها ؟ كلاّ ! لا أصدق كلمة مما تقول أنت . و . . . هيا ، إرحل من المسكن ! فقد اكتفيت منكم . انت أيضاً فعلت هنا الكثير مما أساء إليّ . . .

تيتيريف : آه لو كنت أنا الفاعل حقاً ! لكنه للاسف لست أنا (يخرج) .

بيسيمينوف (يهز رأسه) : حسناً . . . سنحتمـــل إذن ! سننتظر . . . إحتملنا فترة طويلة ولسوف نحتمـــل فترة أخرى ! (يدلف الى غرفته) .

أكولينا ايفانوفنا (تركض وراء زوجهـــا) : أيها الآب ! يا رَجلي ألعزيز ! يا لنا من تعساء ! لماذا فعل أولادنا

بنا هذا ؟ ماذا فعلنا لننال ذلك ؟ (تدلف الى غرفتها . يقف بيرتشيخين وسط الغرفة ، يطرف بعينيـــــه فى تساؤل وعدم فهم . وتاتيانا ، وقد جلست على مقعد البيان ، تنظر حواليها بوحشية . يتسرب من غرفـــة بيسيمينوف حديث خافت .)

بيرتشيخين : تانيا ! تانيا ! (لا تعيره تاتيانا التفاتاً) . تانيا ! ما سبب هذا . . . هذا الهروب ، وهذا البكاء — ما السبب ، ايه ؟ (ينظر الى تاتيانـــا ويتنهد .) طيور غريبة ! (ينظر الى باب غرفة بيسيمينوف ، ثم يتجه الى باب المدخل هازاً رأسه .) حسناً . سأذهب الى تيرينتي . . . طيور غريبة !

(تنهار تاتيانا في بطء ، مسقطة ذراعيها على مفاتيح البيان ، معتمدة رأسها بين يديها . ينطلق في الغرفة نغم عالٍ متنوع اللحن من عدة مفاتيح معاً . ويخمد الصوت تدريجياً .)

ستار